تاريخ ما أهمله التاريخ

عبد الرحمن الأبنودي

الكتـــــــاب: تاريخ ما أهمله التاريخ/ عبد الرحمن الأبنودي
المـــــــؤلف: بطيشة، عمر
النـــــــوع: مصر- تاريخ
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخـــراج داخلي: بثينة عزام
الطبـــــــعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١٠
عـــدد الصفحات: ١٤٤
المقـــــــاس: ١٤×٢٠
تدمـــــــك:
١- مصر- تاريخ
٢- بطيشة، عمر (مؤلف مشارك)
صرح للنشر والتوزيع
المدير العام: عبود مصطفى عبود
كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين(أ) برج(٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقـــم الإيداع: ٢٠١٠/١٣٤٩
الترقيم الدولي: 978-977-6382-19-0
ديوي ٩٦٢

تاريخ ما أهمله التاريخ

يـرويه

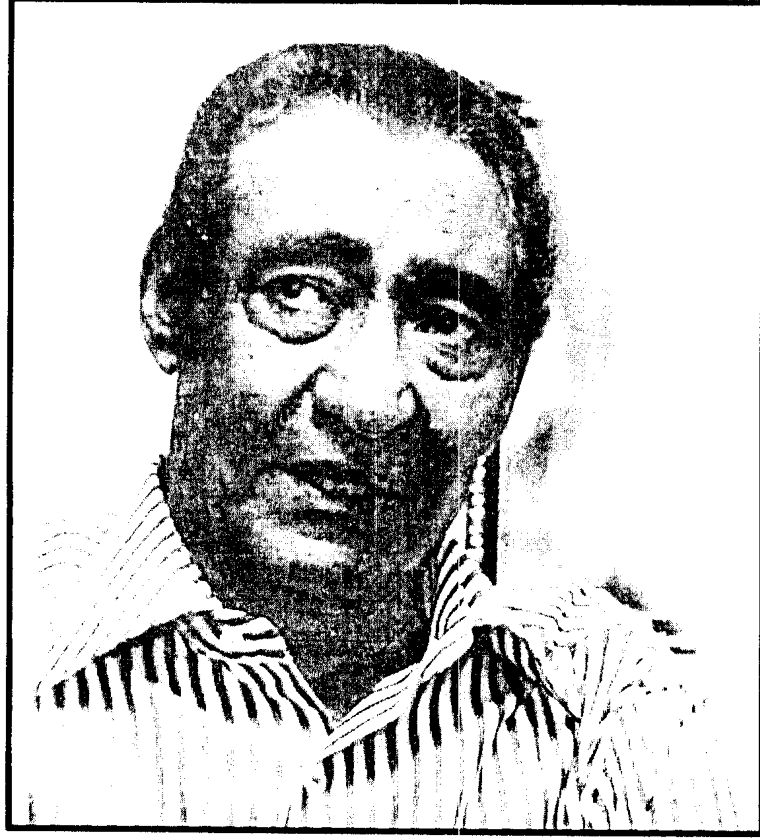
عبد الرحمن الأبنودي

مـــع

عمر بطيشة



فكر يصنع حضارة



الشاعر/ عبد الرحمن الأبنودي

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

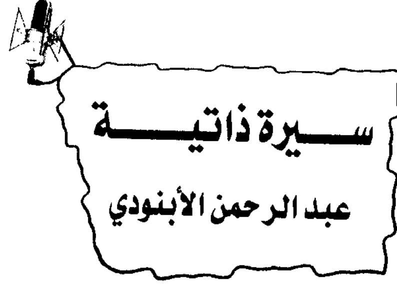
لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهميه هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًا على مضمونها وهو «تاريخ ما أهمله التاريخ». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت

نقاطا فارقة ومنعطفات تاريخية مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة – تحديدا – ترى الواقع من منظور فني، وتحلل الأحداث بعين شاعر، يلامس الحقيقة برؤية مختلفة، ولأنه عاصر الكثير من الأحداث، وشهد كثيرا من المتناقضات، وخاض رحلة طويلة من الاعتقال حتى تكريم الدولة له، رصد تراثا ثقافيا هائلا، وأحيا السير الشعبية، لهذا كله تأتي شهادة الشاعر الكبير: عبد الرحمن الأبنودي ثرية ومهمة للتاريخ.

الناشر


سيرة ذاتية
عبد الرحمن الأبنودي

مولده ونشأته :

ولد عام ١٩٣٨م في قرية أبنود بمحافظة قنا في صعيد مصر، لأبٍ كان يعمل مأذونًا شرعيًّا، وانتقل إلى مدينه قنا حيث استمع إلى أغاني السيرة الهلالية التي تأثّر بها. كان متزوجًا من المخرجة عطيات الأبنودي، ثم تزوج من المذيعة المصرية نهال كمال، له منها ابنتان؛ آية ونور.

- **عبد الرحمن الأبنودي: يُعدّ من أشهر شعراء العامية في مصر.**

بدأ كتاباته الشعرية باللهجة العامية منذ صغره، ونظم عددًا من القصائد الوطنية، عاصر جيل الحداثة في مصر وشهد تحولات سياسية واجتماعية مختلفة في عهد الرئيسين عبد الناصر وأنور السادات، ووجّه انتقادات إلى كلا النظامين بقصائده الساخرة، إلا أنه ما زال متحمسًا ومواليًا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

أسس مع معاصريه من الشعراء المصريين حركة أدبية متميزة برزت فيها اللهجة العامية والتاريخ الشفاهي بشكل رئيسي.

عضو لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة في مصر.

كتب في عدد من الصحف والمجلات الدورية المصرية ومازال مستمرًا.

كتبــــه:

من أشهر أعماله: السيرة الهلالية، التي جمعها من شعراء الصعيد. ومن أشهر كتبه كتاب (أيامي الحلوة) والذي نشره في حلقات منفصلة في ملحق أيامنا الحلوة بجريدة الأهرام، تم جمعها في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة، وفيه يحكي الأبنودي قصصاً وأحداثاً مختلفة من حياته في صعيد مصر.

من أشهر دواوينه الشعرية:

١ - الأرض والعيال (١٩٦٤ - ١٩٧٥ - ١٩٨٥).

٢ - الزحمة (١٩٦٧ - ١٩٧٦ - ١٩٨٥).

٣ - عماليات (١٩٦٨).

٤- جوابات حراجي القط (١٩٦٩ - ١٩٧٧ - ١٩٨٥).

٥- الفصول (١٩٧٠ - ١٩٨٥).

٦- أحمد سماعين (١٩٧٢ - ١٩٨٥).

٧- أنا والناس (١٩٧٣).

٨- بعد التحية والسلام (١٩٧٥).

٩- وجوه على الشط (١٩٧٥ - ١٩٧٨) قصيدة طويلة.

١٠- صمت الجرس (١٩٧٥ - ١٩٨٥).

١١- المشروع والممنوع (١٩٧٩ - ١٩٨٥).

١٢- المد والجزر (١٩٨١) قصيدة طويلة.

١٣- السيرة الهلالية (١٩٧٨) دراسة مترجمة.

١٤- الموت على الإسفلت (١٩٨٨ - ١٩٩٥) قصيدة طويلة.

١٥- سيرة بنى هلال الجزء الأول (١٩٨٨).

١٦- سيرة بنى هلال الجزء الثاني (١٩٨٨).

١٧- سيرة بنى هلال الجزء الثالث (١٩٨٨).

١٨- سيرة بنى هلال الجزء الرابع (١٩٩١).

١٩- سيرة بنى هلال الجزء الخامس (١٩٩١).

٢٠- الاستعمار العربي (١٩٩١- ١٩٩٢) قصيدة طويلة.

٢١- المختارات الجزء الأول (١٩٩٤- ١٩٩٥).

أعماله المغناة وكتاباته للسينما:

كتب الأبنودي العديد من الأغاني، وغناها كبار المطربين..

- **عبد الحليم حافظ**: عدى النهار، أحلف بسماها وبترابها، ابنك يقول لك يا بطل، أنا كل ما أقول التوبة، الهوى هوايا، أحضان الحبايب، على حزب وداد، وغيرها.
- **محمد رشدي**: تحت الشجر يا وهيبة، عدوية، وسع للنور، عرباوى.
- **فايزة أحمد**: يمّا يا هوايا يمّا، مال على مال.
- **نجاة الصغيرة**: عيون القلب، قصص الحب الجميلة.
- **شادية**: آه يا اسمراني اللون. قالى الوداع.
- **صباح**: ساعات ساعات.
- **وردة الجزائرية**: طبعًا أحباب، قبل النهاردة.

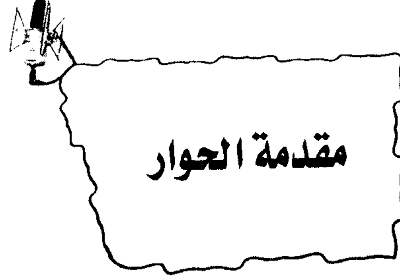


- **ماجدة الرومي**: جايي من بيروت، بهواكي يا مصر
- **محمد منير**: شوكولاته، كل الحاجات بتفكرني، من حبك مش بريء، برة الشبابيك، الليلة ديا، يونس وعزيزة.

كما كتب أغاني العديد من المسلسلات مثل «النديم وذئاب الجبل» وغيرها، وكتب حوار وأغاني فيلم «شيء من الخوف»، وحوار فيلم «الطوق والإسورة»، وكتب أغاني فيلم «البريء» وقد قام بدوره في مسلسل العندليب حكاية شعب الفنان محمود البزاوي، شارك الدكتور يحيى عزمي في كتابة السناريو والحوار لفيلم «الطوق والإسورة» عن قصة قصيرة للكاتب يحيى الطاهر عبد الله.

الجوائز:

حصل الأبنودي على جائزة الدولة التقديرية عام ٢٠٠١م، ليكون بذلك أول شاعر عامية مصري يفوز بجائزة الدولة التقديرية. كما حصل على جائزة مبارك في الآداب عام ٢٠١٠.

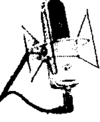

مقدمة الحوار

على الرغم من أن شعره – في حد ذاته – شهادة على العصر، فكل ديوان هو شهادة على مرحلة بعينها؛ فـ«جوابات حراجي القط» مثلًا شهادة مهمة على فترة بناء السد العالي، وهكذا «أحمد سماعين» وغيره، على الرغم من كون هذه الدواوين شهادة مهمة، فإن شهادة الشاعر الكبير: عبد الرحمن الأبنودي التي بين أيدينا شهادة جامعة على تاريخ طويل، تحمل من السمات الفنية ما يحمله شعره؛ لأنه يتحدّث للإذاعي الكبير: عمر بطيشة بلغة شعرية فيها من الصور الفنية الكثير، يبدأ حديثه من القرية المصرية، وتاريخيًا من عصر الملك ثم قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢، يرصد واقع الحضارة الزراعية في أبنود، للحرية عنده معنًى مختلف، وكيف يتحول الاعتقال عند الشاعر الكبير إلى قمة الحرية التي لا تعرف حدودًا، يحكي تجاربه في المعتقل، وكيف انزلق إلى الواقع السياسي، وكعادته لا يخلو حديثه من المتعة والمرح واللهجة الصعيدية العامية التي يتحدى – هو شخصيًا – أن تجد فيها كلمة واحدة غير

فصيحة، ومن هذه المواقف الظريفة التي يقصّها، يقول: « رأيت في ليلة واحدة كل أصدقائي في السجن.. صلاح عيسى.. سيد حجاب.. جمال الغيطاني.. أي شخص كان يكتب في هذه الأيام. وهناك من يُلخِّصُ تلك المأساة.. ذلك المخبر «عمّ سيد» حيث كان يسير بين الزنزانات ويقول: "إييه وأهي دنيا بتلعب بينا على رأي الأبنوبي».

لا يرى الأبنودي إبداعًا يمكن أن يُنجز من دون معاناة واستفزاز يحفزه، ينظر إلى الفقر على أنه الـمُلهِم الأول للإبداع، له رؤية خاصة في الثنائية اللغوية (العامية – الفصحى) يذهب في شهادته للحديث عن علاقات مصر والسودان، ويتحدى أنه قادر على حل مشكلات السودان إذا ما أُرسل مبعوثًا لهم، يراه كثير من السودانيين أنه شاعر سوداني ضل طريقه إلى القاهرة.

النيل له مكانة مهمة في حياة الأبنودي وشعره، يقول عنه: «النيل أبانا وأرض مصر هي أمّنا؛ لأنني أعتبر النيل كائنًا بشريًّا». لكنه



ليس ذلك النيل الساكن السائر خلف فنادق القاهرة، بل النيل صاحب العنفوان والفيضان، النيل الفتي قبل بناء السد العالي.

يرصد الأبنودي وقائع مهمة في الحياة الثقافية المصرية داخل المقاهي الأدبية (ريش وإيزافيتش) وحكاياته مع أصدقائه؛ يحيى الطاهر، وجمال الغيطاني، وعبد الحليم حافظ، وغيرهم، كما أنه يرى انحراف الأغنية المعاصرة، وأنها نتاج العنف وليس الفن.

كما أنه يرى أن الشعر الحديث شعر مأزوم تاهت فيه القصيدة بين الطلاسم وغياهب الغموض.

أتاحت له رحلاته في جمع السيرة الهلالية أن يكتشف الكثير حول حقيقة التراث العربي الإنساني، يعيد إلينا قراءة التاريخ بلسان رواة السيرة الشعبيين؛ عم جابر أبو حسين، وسيد الضوي.

يتلخص رأيه حول الأغنية الحديثة في أنه قد انفتحتْ «بوتيكات الأغاني» في عصر السوق الحرة وأصبحت سلعة مثلها كمثل «الفول السوداني واللب» شهادة ثرية يدلي بها الأبنودي للتاريخ.


نـــص الحـــوار

المذيع:

لقِيَتْ العاميةُ المصريّةُ في السنوات الأخيرة ما يُقارب الاعتراف الرسمي بها، بعد ما أنتجه شعراء آثروا استخدامها، لأنهم عدوها لغة الحياة.

ولهذا الإنتاج الحديث سوابق مبكرة عند السالفين في فنون الزجل والمواليا[1]، كما وجد هذا الإنتاج أيضًا دراسات قيّمة لدى كُتّاب من السلف الكبار من أمثال صفى الدين الحلي[2]

---

[1] **المواليا**: من أشهر فنون الشعر والغناء الشعبي في الوطن العربي عامة، وقد جذب هذا الفن اهتمام مؤرخي الأدب العربي ودارسيه لاباعتباره شكلًا من أشكال الإبداع الشعبي، ولكن باعتباره واحدًا من الفنون الملحونة.. والمواليا لون من ألوان الشعر الشعبي، الذي يمكن التعبير عنه بأنه برزخ بين الأدب الفصيح والشعبي أو أنه نشأ في بيت مجاور للفصيح، وسُمي بالبرزخ؛ لأنه من الفنون الشعرية التي تحتمل الإعراب واللحن وإن كان اللحن فيه أجمل.

[2] عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم السنبسي الطائي والملقب بصفي الدين الحلي (١٢٧٧ - ١٣٤٩م): شاعر عربي نظم بالعامية والفصحى، يُنسب إلى مدينة الحلة العراقية، التي ولد فيها. عاش في الفترة التي تلت مباشرة دخول المغول لبغداد وتدميرهم الخلافة العباسية مما أثّر على شعره، نظم بيتًا لكل بحر سميت مفاتيح البحور ليسهل حفظها. عاش صفي الدين الحلي في الحلة والموصل والقاهرة وماردين وبغداد التي توفي فيها. كان أول من نظم البديعيات. له ديوان درر النحور في مدح الملك منصور الأرتقي ملك ماردين، والذي يحتوي على ٢٩ قصيدة كل منها يتكون من ٢٩ بيتًا تبدأ أبيات كل قصيدة منها وتنتهي بأحد أحرف اللغة العربية.

والحموي[٣] والأبشيهي[٤].. وشاهدُنا على العصر الليلة شاعرٌ كبيرٌ اختار العاميّة لغة، وأبدع في تعبيره بها فأصبح أحد علاماتها ونجومها الزاهرة في عصرنا بعد بيرم التونسي[٥] وفؤاد حداد[٦]

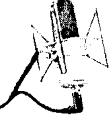
---

[٣] **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي**: أديب ومؤلف موسوعات، وخطّاط، اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، وقد سمى نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتابهُ المعروف (معجم البلدان) الذي ترجم وطبع عدة مرات.

[٤] **الأبشيهي أو الإبشيهي**: نسبة إلى قرية أبشُويه من قرى محافظة الغربية بمصر، وقد لقب به طائفة من الأدباء والعلماء، وبهاء الدين، أبو الفتح، محمد بن أحمد منصور الأبشيهي المحلّي الشافعي. كاتب وشاعر، حفظ القرآن وهو صغير ثم درس النحو والفقه. وولي الخطابة في بلدته بعد وفاة أبيه فكان خطيبًا مسموع الكلمة مهيب المحضر، ووصف بالورع والتقوى.

[٥] محمود بيرم التونسي: هو شاعر مصري ولد في الإسكندرية في ٣مارس١٨٩٣، ويعدّ من أشهر شعراء العامية المصرية. وسمّي التونسي لأن جده لأبيه كان تونسيًّا، قدم إلى مصر سنة١٨٣٣م، والتونسي لقب لُصق به وبأفراد أسرته لكونهم من تونس أصلًا، وهاجروا إلى الإسكندرية، وأقاموا فيها، فكان أهلُ الحي يصفون الفرد منهم بالتونسي.. فلحق بهم هذا اللقب كعادة الغريب حين يقيم في غير مدينته يلقبه الناس لقبًا ينسبه إلى بلده الأصلي.

[٦] فؤاد حداد: من أبرز شعراء العاميّة في منتصف القرن العشرين، فهو المؤسس الحقيقي لشعر العامية الملحمي في مصر، وكان دائمًا ما يُعرِّف نفسه قائلًا: أنا والد الشعراء فؤاد حداد. أُطلق عليه كذلك فنان الشعب، حيث استلهم من الشعب المصري عددًا من الملاحم التي كتبها، مثل أدهم الشرقاوي.



وصلاح جاهين[٧].. ولد عام ١٩٣٨م فى محافظة قنا، التي تعلّم بمدارسها متأثّرًا بوالده الذي كان شاعرًا ومأذونًا وإمام مسجد ومدرّسًا، ولكنه قطع دراساته العُليا وعمل في محكمة قنا الشرعية التي استقال منها أثناء عقد إحدى جلساتها في قصة مشهورة، وسافر إلى القاهرة ليشُقّ عباب الأمواج في مسيرة ظافرة إلى الإبداع، وأصرّ في الوقت نفسه الذي اشتهر فيه وارتفعت قامته على مواصلة الدراسة. ورغم شهرته في شعر العامية فقد تخرج من قسم اللغة العربية بآداب القاهرة وبدأ الدراسة التمهيدية للماجستير.

بدأت رحلة النشر معه بصحيفة المساء ثم مجلة صباح الخير، وتوالت دواوينه الشعرية ومن أشهرها «الأرض والعيال» و«حراجي القط» و «وجوه على الشط» و «الموت على الإسفلت»، كما نشرت دراسته عن السيرة الهلالية في خمسة أجزاء بالعربية والفرنسية في مصر وتونس.. يعتبر أكثر شاعر عربي استضافته الأمسيّات الشعرية التي زادت على الستين أمسية في جميع أرجاء

---

(٧) محمد صلاح الدين بهجت أحمد حلمي، المشهور بـصلاح جاهين: شاعر ورسّام وممثل مصري يساري الفكر.

الوطن العربي، وحصل على الميدالية الذهبية لناجي العلي[٨] من لبنان، والجائزة الأولى في الإبداع الشرقي من الدنمارك، كما تغنى بأشعاره كبار المغنين في كل الوطن العربي.. لنا معه جِلسة مطوّلة نسجل فيها شهادته على عصره.

الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن الأبنودي.. سعداء بانضمامك لشهود العصر، وكلنا شوق لشهادتك على عصرك.

● **الأبنودي:**

وأنا سعيد أيضًا.. وأرجو أن نلامس أطراف الأمانة والصدق، وأن تكون شهادة حقيقية على ما عشناه وعلى ما نراه أو نأمل تحقيقه في مستقبل هذه الأمة.

---

(٨) ناجي سليم حسين العلي: رسام كاريكاتير فلسطيني، تميز بالنقد اللاذع في رسومه، ويعتبر من أهم الفنانين الفلسطينيين، له أربعون ألف رسم كاريكاتيريّ، اغتاله شخص مجهول في لندن عام ١٩٨٧. قام الفنان نور الشريف بعمل فيلم له باسم ناجي العلي، أثار ضجّة في وقتها وطالب بعض المحسوبين على الحكومة المصرية بمنع الفيلم، بسبب انتقاده للنظام المصري.

القرية المصرية

تعودنا أن يبدأ شاهد العصر برؤيته العامة لهذه المرحلة من العصر، قبل أن نرحل في التاريخ إلى بدايات الشهادة والمراحل التي عشتها وتشهد عليها.. فما هي أهم ملاحظاتك بالنسبة لما نعيشه اليوم؟

إن الذي نعيشه اليوم ما هو إلا حصاد لما غرسته أيدينا بالأمس، بالنسبة لجيلي؛ عندما قامت الثورة لم نكن على درجة من النضج والاستيعاب لها، وبالنسبة لنا فقد قامت الثورة عام ١٩٥٦ بمعركتنا ضد العدوان الثلاثي[٩] ضد إنجلترا وفرنسا وإسرائيل.

أليس عام ١٩٥٢ هو التاريخ الرسمي لقيام ثورة يوليو[١٠]؟

---

(٩) العدوان الثلاثي: حرب وقعت أحداثها في مصر في ١٩٥٦م والدول التي اعتدت عليها هي بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على إثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس. تعرف أيضا هذه الحرب بحرب ٥٦.

(١٠) ثورة يوليو: انقلاب عسكري قام به ضباط جيش مصريون ضد الحكم الملكي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعرف في البداية بالحركة المباركة ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يوليو. بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش=

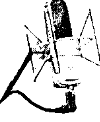
● رأينا الفرحة في أعين الناس ففرحنا.. كنا خارج ساحات السياسة.. أطفالًا. قذفت الحياة بمثلي لأن يكون في خِضَمّ العمل اليومي، كي أعول وأمارس لعبة الرجال في وقت مبكر، عند قيام الثورة.. رأينا صور زعمائها مُعلَّقة على ثلاثة من دكاكين أبنود، وتناقلت الأقوال أن هؤلاء من قاموا بالثورة على الملك وطردوه.

كان الملك بالنسبة لي محبوبًا؛ يرجع ذلك الحب لموقف فعله معي في سن السابعة، عندما كنت أدرس القرآن في كتّاب الشيخ مبارك في قنا؛ عندما زار الملك قنا ودخل فصول هذا الكتاب وزّع علينا (التُمْن) وهي عبارة عن قرشين من الصاغ المضلّعة.

هو النصف فرانك.

● وكان معه من الناس من يحملون شنطًا مليئة بهذه النقود، فأعطوا لكل طفل منا في هذا الوقت سبع (تُمان).. أحببت الملك

=المصري بزعامة اللواء محمد نجيب وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلح نجح في السيطرة على الأمور والسيطرة على المرافق الجويّة في البلاد، وأذاع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات وأجبرت الحركة الملك التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.



باعتبار أن هذا المبلغ كان أكبر المبالغ بالنسبة لي في هذا الوقت.. تعجبت مما حدث للملك، أيكون هذا هو الذي زارنا في كُتّاب الشيخ مبارك؟! بالمناسبة.. كان للشيخ مبارك - رحمه الله - كتّاب عجيب.. أطال الله بقاء الشيخ مبارك إن كان على قيد الحياة؛ فكان يوم الخميس هو المراجعة والتسميع لما تم دراسته من قرآن الأسبوع كله، وكان معه الشيخ همام.. عندما يقول (لازم).. وقتها تنسي كل شيء ويطير من ذهنك.

أمِن الرهبة والخوف؟

من الرهبة.. فكان يقول للفرد منا: قُلْ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ الأحزاب: ٤٠ فتقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾.... ثم تنسى بقية الآية.

يضيع.. تنسى

قُلْ.. قُلْ.. فتريد أن تقول فلا تجد شيئًا، وفي يده جاكوشٌ يضربك به فيسيل دمُك.. ومع الشيخ همام علبة بها صبغة يود فيضع لك منها وينتقل للذي يليك.

إذن، فالاثنان جاهزان بالجرح والدواء.

لو كنت روائيًا لكتبت رواية عن كُتّاب الشيخ مبارك، وكيف وصل الملكُ إلى هذا المكان.. زار المدارس الكبيرة والمتوسطة إلى أن وصل إليه.

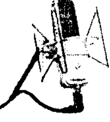
الخديوي وكتّاب القرية:

صحيح.. ما الذي أتى به إلى هذا الكُتّاب؟

في هذا الوقت كانت قنا هي بلد الأشراف.. فيها قبائل الأشراف، وفي الوقت ذاته قيل عنه: إنه شريف ومن الأشراف، وبدأ رجال الدين يفتون له بذلك وينسبونه إلى النبي المختار...إلخ، وقام ببناء مسجد سيدي عبدالرحيم القناوي[11]

---

[11] الشيخ عبدالرحيم بن أحمد بن حجون بن محمد بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الذكى بن محمد المأمون بن أبي الحسن علي بن الحسين بن علي بن محمد الديباج بن جعفر الصادق



وجاء لافتتاحه.. وفي أثناء فترة الافتتاح زار كل المؤسسات أو الهيئات الدينية الكبيرة والصغيرة فكان منها كُتّاب الشيخ مبارك، كانت زيارته فيما يخصّ حيّ الأشراف فقط ولم يذهب للمدارس الأميرية آنذاك.

وحتى الآن فهناك العديد من رموز مصر الثقافية يفخرون أنهم من جيل الكُتّاب.

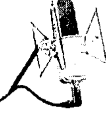
لاشك أن كثيرًا من المثقفين والأدباء والفنانين المتازين عندما تسألهم الآن ستجد أن أصولهم ترجع إلى الكتّاب أو والدٍ

بن محمد الباقر بن علي بن الحسين رضى الله عنه. من عظماء العارفين ومشايخ مصر وصعيدها المشهورين، قال عنه الحافظ المنذري أحد معاصريه : إنه أحد الزهاد المذكورين والعباد المشهورين، وتخرج على يديه جماعة من أعيان الصالحين.

ولد الشيخ عبدالرحيم فى قرية «ترغاى» التابعة لمدينة سبتة التى تقع فى إقليم «غمارة» بالمغرب، وذلك فى أول شعبان سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م وكان اسمه أسدا لكنه غير اسمه إلى عبدالرحيم.

ولد من أبوين كريمين ينتهى نسبهما إلى سيدنا الحسين رضى الله عنه وأمه السيدة الشريفة سكينة بنت أحمد بن حمزة الحرانى هى من بنى حمزة الذين كانوا نقباء الشام وشيوخه وكانوا ذوي علم ودين.

توفى الشيخ عبدالرحيم القناوي يوم الثلاثاء ١٩ صفر سنة ٥٩٢هـ الموافق ٢٣ يناير ١١٩٦م بعد صلاة الفجر وعمره ٧١ عاما قضى منها ٤١ عاما فى الصعيد.



معلم.. أعني المشايخ؛ اسأل مثلًا فاروق شوشة[١٢].. رجاء النقاش[١٣].. إلخ

أنا شخصيًا سمعت للدكتور مصطفى الفقي[١٤] حديثًا، كان يفتخر بأنه من الجيل الذي تعلّم في الكُتّاب.

---

(١٢) فاروق محمد شوشة: شاعر مصري. ولد عام ١٩٣٦ بقرية الشعراء بمحافظة دمياط. حفظ القرآن، وأتمّ دراسته في دمياط. وتخرج في كلية دار العلوم ١٩٥٦، وفي كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٥٧. عمل مدرسًا ١٩٥٧، والتحق بالإذاعة عام ١٩٥٨، وتدرّج في وظائفها حتى أصبح رئيسًا لها ١٩٩٤ ويعمل أستاذًا للأدب العربي بالجامعة الأميركية بالقاهرة. أهم برامجه الإذاعي: لغتنا الجميلة، منذ عام ١٩٦٧، والتلفزيونية: أمسية ثقافية منذ عام ١٩٧٧. عضو مجمع اللغة العربية في مصر. رئيس لجنتي النصوص بالإذاعة والتلفزيون، وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، ورئيس لجنة المؤلفين والملحنين. شارك في مهرجانات الشعر العربية والدولية.

(١٣) محمد رجاء عبد المؤمن النقاش: (ولد في محافظة الدقهلية في ٣ سبتمبر ١٩٣٤ وتوفي في القاهرة في ٨ فبراير ٢٠٠٨)، ناقد أدبي وصحفي مصري. تخرج في جامعة القاهرة قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ وعمل بعدها محررًا في مجلة روز اليوسف المصرية بين عامي ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦١ ثم محررًا أدبيًا في جريدة أخبار اليوم وجريدة الأخبار في الفترة من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٤، كما كان رئيسًا لتحرير عدد من المجلات المعروفة منها مجلة الكواكب ومجلة الهلال، كما تولى منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة مجلة الإذاعة والتلفزيون.

(١٤) مصطفى الفقي: (نوفمبر١٩٤٤) سياسي مصري، ولد بمركز المحمودية محافظة البحيرة في سبتمبر ١٩٤٤. درس بمدارس دمنهور الاعدادية والثانوية. ثم كانت دراسته الجامعية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة عام ١٩٦٦. حصل على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة لندن عام ١٩٧٧. ثم التحق بالسلك الدبلوماسي فعمل في سفارتي مصر بريطانيا والهند.

(●) بالطبع.. لا شكّ..

وجمال الغيطاني[١٥] أيضًا.

(●) وكل جيل الستينيات.. كان الأهل هم الجيل الأخير من جيل الثقافة والرسالة كما تعلم.. وعندهم إلمام كامل بالتراث الإسلامي والعربي، وفي الوقت نفسه كانوا معلمين، فأنا شخصيًّا أتّخذ من نفسي أنموذجًا لأهالي قريتي أو لمن في سنّي في تلك المناطق النائية في ذلك الوقت.

نعم

---

[١٥] **جمال أحمد الغيطاني:** روائي وصحفي مصري ورئيس تحرير صحيفة أخبار الأدب المصرية. صاحب مشروع روائي فريد استلهم فيه التراث المصري العربي ليخلق عالمًا روائيًا عجيبًا، يعد اليوم من أكثر التجارب الروائية نضجًا وقد لعب تأثّره بصديقه وأستاذه الكاتب نجيب محفوظ دورًا أساسيًّا لبلوغه هذه المرحلة مع اطلاعه الموسوعي على الأدب القديم وساهم في إحياء الكثير من النصوص العربية المنسية وإعادة اكتشاف الأدب العربي القديم بنظرة معاصرة جادة.

انفتحت تجربته الفنية في السنوات الأخيرة على العمل التلفزيوني مع المحافظة على الملامح نفسها التي نجدها في الرواية إذ كشف النقاب عن عالم آخر يعيش بيننا من المعمار والناس. يعتبر الغيطاني من أكثر الكتاب العرب شهرة على شبكة الإنترنيت إذ إن أغلب رواياته ومجموعاته القصصية متوفرة في نسخات رقمية يسهل تبادلها، وهو كاتب جمع بين الأصالة العميقة والحداثة الواعية.

الوادي ضيق في منطقة قنا.. تجد الجبلين ضاغطين على ضلوع النيل.. مساحة الأرض الزراعية قليلة جدًّا وتعداد الناس كثير، الصعيد منجب وخصب. وكانت الناس تلجأ لزراعات دقيقة.

الحضارة الزراعية في أبنود:

ما المقصود بتلك الزراعات؟

التي تستعمل في الطب والأدوية.. تدخل في الشمار.. الينسون الكراوية.. الخس، كي يأخذوا زيته في المَعاصر القديمة لعمل الكركم... فكل فرد لديه حوضين أو ثلاثة على حسب الأسهم التي يملكها، مساحات لا تعول عائلة ولا يعيش على دخلها بشر.. الأعداد كثيرة.. تجد الأطفال جالسين في الأراضي لتنظيف الشمار والكراوية وحبّة البركة.. إلخ، ثم يُباع للمعاصر أو تأتي الناس فتأخذه للاستعمالات الطبيّة.

لا يوجد داخل القرية من يزرع القطن أو القمح أو مثل هذه المحاصيل، فما كان لدينا الإقطاع، ولفترة كبيرة لم أعرف معنى



الإقطاع؛ فلا توجد أراضي لذلك.. وكانت الثورة عندي بمنظور آخر.. يقولون الإصلاح الزراعي.. توزيع الأراضي.. لا أفهم كل هذا؛ لأنه لم ينعكس على الواقع الحقيقي لحياة الناس والبيئة التي أعيش فيها، ظل الأمر هكذا حتى دخولي المدرسة.. كنت أرى شِجَارًا أثناء زيارة أشخاص معروفين كخالد محيى الدين[16] أو الشافعي.

حسين الشافعي[17]؟

---

[16] **خالد مُحيي الدين**: ضابط سابق في الجيش المصري إبّان العصر الملكي وأحد الضباط الأحرار، وعضو سابق في مجلس الشعب المصري، صاحب توجّه يساري ديموقراطي علماني، وهو مؤسس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي حتى اعتزاله العمل العام.

ولد خالد محيي الدين في كفر شكر في محافظة القليوبية عام ١٩٢٢. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠، وفي ١٩٤٤ أصبح أحد الضباط الذين عرفوا باسم تنظيم الضباط الأحرار والذين انقلبوا على حكم الملك فاروق سنة ١٩٥٢، وكان وقتها برتبة صاغ، ثم أصبح عضوًا في مجلس قيادة الثورة، حصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥١ مثل كثير من الضباط الذين سعوا للحصول على شهادات علمية في علوم مدنية بعد الثورة وتقلدوا مناصب إدارية مدنية في الدولة.

[17] **حسين محمود حسن الشافعي**: (٨ فبراير ١٩١٨ - ١٨ نوفمبر ٢٠٠٥)، عسكري وسياسي مصري، وأحد أعضاء حركة الضباط الأحرار ونائب رئيس جمهورية مصر العربية في الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٤.

(●) نعم، كان الواقع آمنًا.. الحقيقة.. عندما يزور حسين الشافعي مدرسة مثلًا...

أو عضو مجلس قيادة الثورة..

(●) نعم، في خلال هذه الزيارة أرى الشباب مُتحزّبين، أحاول تفهّم حقيقة هذا التَّحزُّب.. بدأ الواقع العملي يكشف لنا الستار.. وما حدث من الانقلاب على مجموعة الكتب التى صدرت ومجموعة الجرايد التى ظهرت و.. و.. حتى وصلنا إلى عام ١٩٥٦م وبدأ اصطدامنا الحقيقي بالاستعمار، كانت الثورة قد تدشّنت بالفعل.. أستطيع القول: إن الثورة بالنسبة لي قامت عام ١٩٥٦م، لم تقم بمعركة الديموقراطية في عام ١٩٥٤؛ لأن «لقمة العيش» بالنسبة لي ولكل قريتي كانت المطلب الأساسي، لم يصل بنا الحال إلى رفاهية الديموقراطية، أي شيء يُعطى فهو خيرٌ ولا نقاش فيه.

غاية المراد.. الطعام والسكن.



(●) الطعام وتعليم الأولاد.. فكانت «الوحدات المجمّعة» أول ما فعله عبد الناصر؛ ، الواقع كان متردّيا بشدة؛ فكانت البيوت لا تحتوي إلا على (الزير والجرتين وكنكة الشاي والكانون والفرن) كانت الحياة صعبة...

ضنك.

(●) قاسية جدًّا.. عندما كبرت وأخذت أسير في موقف المعارضة لعبدالناصر مطالبا بأشياء أكثر مما يفعل، جذبني عمي من ياقة القميص وقال لى: «يا واد فاطمة قنديل إنت بتهاجم جمال عبد الناصر دا انت لولا جمال عبد الناصر لكنت لبست القميص دا ولا كنت تعرف تقول الكلام اللي إنت بتقوله.. علِّمك ولبِّسك..» وحتى الآن فأنا في حيرة من أمري فيما يخص فترة عبد الناصر وحبْسها لمؤيِّديها..

اصطدام ثورة يوليو وعبد الناصر بالمثقفين:

هناك الكثير من رموز الثقافة المصريّة التي أيدت الثورة وبعد ذلك اصطدموا بعبد الناصر.

- هل سُجنت في عهد عبد الناصر؟

لايوجد شاعر عامية لم يُسجن في عهد الثورة.. سوى صلاح جاهين[١٨].

---

(١٨) **محمد صلاح الدين بهجت أحمد حلمي**، المشهور بـصلاح جاهين (٢٥ ديسمبر ١٩٣٠ - ٢١ إبريل ١٩٨٦ م) شاعر ورسام وممثل مصري يساري الفكر. ولد في شارع جميل باشا في شبرا. كان والده المستشار بهجت حلمي يعمل في السلك القضائي، حيث بدأ كوكيل نيابة وانتهى كرئيس محكمة استئناف المنصورة. درس الفنون الجميلة ولكنه لم يكملها حيث درس الحقوق.

أنتج العديد من الأفلام التي تعتبر خالدة في تاريخ السينما الحديثة مثل أميرة حبي أنا، وفيلم عودة الابن الضال، ولعبت زوجته أدوار في بعض الأفلام التي أنتجها. عمل محررا في عدد من المجلات والصحف، وقام برسم الكاريكاتير في مجلة روز اليوسف وصباح الخير ثم انتقل إلى جريدة الاهرام.

كتب سيناريو فيلم خلي بالك من زوزو، والذي يعتبر أحد أكثر الأفلام رواجا في السبعينيات، إذ تجاوز عرضه حاجز ٥٤ أسبوعا متتاليا. كما كتب أيضا أفلام أميرة حبي أنا، شفيقة ومتولي، والمتوحشة. كما قام بالتمثيل في شهيد الحب الإلهي عام ١٩٦٢، ولا وقت للحب عام ١٩٦٣، والمماليك ١٩٦٥.

إلا أن قمة أعماله كانت الرباعيات التي كان يحفظها معظم معاصريه عن ظهر قلب والتي تجاوزت مبيعات نسختها الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب أكثر من ١٢٥ ألف

نعم.. ولماذا؟

لأننا كنّا حقيقيين وكانت لدينا قضايا حقيقية مُلحّة.. وفي بعض الأحيان كان يعلو صوتنا على صوت السلطة، وكان عبد الناصر يُزعجه أن يعلو صوت عليه.. حتى إنه الذي اخترع شعار «لا صوت يعلو على صوت المعركة».. وهو في الحقيقة «لا صوت يعلو على صوتي».. كان من الممنوع أن تَسبِقَ ولو بكلمة؛ بمعنى أن مهمتك هي النقاش أو التأييد أو تمتدح أو تركز على الإيجابي فيما حققه.. فيما قاله، إنما الكلام فيما لم يقله يعني السجن.. صلاح جاهين وحده الذي لم يسجن؛ لأن صلاح كان مغنيًّا..كان صوت عبد الناصر في الأغنية.. ولذلك صمد بعد نكسة ٦٧، مع هزيمة عبد الناصر هـُزِم صلاح.. هزيمة حقيقية وأيضًا هـُزِم يوسف

نسخة في غضون بضعة أيام. هذه الرباعيات التي لحنها الملحن الراحل سيد مكاوي وغناها الفنان علي الحجار.

ومن قصائده المميزة قصيدة على اسم مصر، وأيضا قصيدة تراب دخان التي ألفها بمناسبة نكسة يونيو ١٩٦٧. وكان مؤلف أوبريت الليلة الكبيرة أشهر أوبريت للعرائس في مصر.

إدريس[١٩]، مزقتهم ٦٧ وهذا دليل طهارة.. بدليل أنهم لم يكونوا انتهازيين، بل كانوا حقيقيين، فلما هُزِم عبد الناصر هُزِموا معه؛ لإيمانهم الشديد بفرده . وكان المثقفون يتجمعون على المقاهي، ومن المقاهي المشهورة آنذاك مقهى «ريش»[٢٠] ومقهى «إيزافيتش»[٢١]

---

(١٩) **يوسف إدريس علي**، كاتب قصصي، مسرحي، وروائي مصري ولد سنة ١٩٢٧ في البيروم التابعة لمركزفاقوس، مصر وتوفي في ١ أغسطس عام ١٩٩١ عن ٦٤ عام. وقد حاز على بكالوريوس الطب عام ١٩٤٧ وفي ١٩٥١ تخصص في الطب النفسي. طبيب بالقصر العيني، القاهرة، ١٩٥١-١٩٦٠؛ حاول ممارسة الطب النفساني سنة ١٩٥٦، مفتش صحة، صحفي محرر بالجمهورية، ١٩٦٠، كاتب بجريدة الأهرام، ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٢. حصل على كل من وسام الجزائر (١٩٦١) ووسام الجمهورية (١٩٦٣ و ١٩٦٧) ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨٠). سافر عدة مرات إلى جل العالم العربي وزار (بين ١٩٥٣ و ١٩٨٠) كلاً من فرنسا، إنجلترا، أمريكا واليابان وتايلندا وسنغافورة وبلاد جنوب شرق آسيا. عضو كل من نادي القصة وجمعية الأدباء واتحاد الكتاب ونادي القلم الدولي. متزوج من السيدة رجاء الرفاعي وله ثلاثة أولاد المهندس سامح والمرحوم بهاء والسيدة نسمة.

(٢٠) **مقهى ريش** (تأسس عام ١٩٠٨م) بالقاهرة هو أكبر تجمع للمثقفين والسياسيين في المنطقة العربية. يقع قرب ميدان طلعت حرب، تأسس عام ١٩٠٨ م.

شيد هذا المقهى ألماني، باعه عام ١٩١٤ إلى هنري بير أحد الرعايا الفرنسيين الذي أعطى له اسم «ريش» ليتشابه بهذا الاسم مع أشهر مقاهي باريس التي ما زالت قائمة إلى الآن، وتسمى «كافيه ريش». وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى اشتراه تاجر يوناني مشهور من صاحبه الفرنسي، ووسعه وحسن بناءه. حاليا يملك المقهى مجدي ميخائيل، وهو أول مالك



وكانا يشبهان الحزبين، وكانت «إيزافيتش» ملكًا لرجلٍ يوغوسلافي أبـيضَ اللـون.. بـالطبع كـان هاربًـا مـن الحُكـم الـشيوعي في يوغوسلافيا ومن تيتو(٢٢)، لدرجة أن تيتو أثناء زيارته لمصر كانت تقفل «إيزافيتش» حتى يغادر البلاد.

مصري له. وقد كان المقهى ملتقى الأدباء والمثقفين أمثال نجيب محفوظ، ويوسف إدريس، وأمل دنقل، ويحيى الطاهر عبد الله، وصلاح جاهين، وثروت أباظة، ونجيب سرور، وكمال الملاخ، وغيرهم ممن كانوا يحرصون على حضور ندوات نجيب محفوظ الأسبوعية التي كان يعقدها عصر يوم الجمعة مند عام ١٩٦٣.

(٢١) **مقهى ايزافيتش** كان يجمع مثقفي الأربعينيات الحالمين بالعدل والحرية، وفيه كتبت قصائد وتوهجت قصص حب ودارت معارك فكرية وأدبية وسياسية وروداه كانوا سيد= =خميس والأبنودي وابراهيم فتحي وأمل دنقل ويحيى الطاهر عبد الله وسيد حجاب وبهاء طاهر ومحمود يس.

وشهد ايزافيتش حركة اعتصام الطلبة عام ١٩٧١ التي طالبت بمحاكمة المسؤولين عن النكسة، وكتب فيه أمل دنقل قصيدته «الكعكة الحجرية» وفيها: «أيها الواقفون على حافة المذبحة، أشهروا الأسلحة، سقط الموت، وانفرط القلب كالمسبحة» وفترة النضج والازدهار لهذا المقهى كانت من عام ١٩٥٧ وحتى ١٩٧٤ تقريبا وهي الفترة التي شهدت ميلاد كثير من الادباء والفنانين، من جيل سابق مثل حسن سليمان ولويس عوض الذي أهدى كتابه «بلوتو لاند» الى «الفتيات الضاربات على الآلة الكاتبة، وإلى آكلات الساندوتشات من ايزافيتش» لكن المؤسف أن المقهى الذي شهد ميلاد جيل من النقاد والأدباء والسياسيين في مصر، وكان شاهدا على فترة من أهم فترات مصر تحول الآن الى معرض لبيع السيارات.

(٢٢) جوزيف بروز تيتو: (٧ أو ٢٥ مايو ١٨٩٢ - ٤ مايو ١٩٨٠) كان ثوريًّا، ودكتاتورًا. كان الأمين العام (الرئيس في وقت لاحق) لرابطة الشيوعيين في يوغوسلافيا

أهذه الدرجة؟!

نعم، تُغلق إيزافيتش.. على الرغم من أنها كانت عامرة بالأدباء والمخبرين في ذلك الوقت.

نعم،.. فلا بد من هذا التلازم..

كانت الميزة في هذه المقاهي أنها كانت خالية من جهاز راديو أو تليفزيون أو طاولة... إلخ، كانت فقط مقاهي للجلوس والحوار، وتلك الظاهرة انقرضت تمامًا الآن في مصر.. كان الجيل الذي يسبقنا..جيل الروّاد؛ جيل الأساتذة أمثال لويس عوض[٢٣] وغيره..

(١٩٣٩-١٩٨٠)، وقاد حركة العصابات اليوغوسلافية ضد النازيين في الحرب العالمية الثانية في الفترة من ١٩٤٣ حتى وفاته في عام ١٩٨٠، كان يشغل رتبة مشير في يوغوسلافيا، بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة اليوغوسلافية، والجيش الشعبي اليوغوسلافي (الجيش الشعبي)، كان تيتو من أكبر الدكتاتوريين الشيوعيين في تاريخ الشيوعية. وهو واحد من مؤسسي مكتب الإعلام الشيوعي، كان واحدًا من المؤسسين الرئيسيين والمروّجين لحركة عدم الانحياز، والأمين العام الأول. على هذا النحو، وقال: إنه يؤيد سياسة عدم الانحياز بين الكتلتين الشرقية والغربية على الرغم من تقرّبه لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في الحرب الباردة.

[٢٣] **لويس عوض:** (١٩١٥ – ١٩٩٠) مُفكّر ومؤلّف مصريّ وُلد في المنيا عام ١٩١٥. نال ليسانس الآداب، قسم الإنجليزية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٣٧. وحصل

هؤلاء اكتشفوا مقهى «إيزافيتش» وتخرّجوا منه، لكن جيلنا؛ جيل بهاء طاهر[٢٤] وغالي شكري[٢٥] ويحيى الطاهر عبدالله[٢٦] وجمال الغيطاني وصلاح عيسى[٢٧] وسيد حجاب[٢٨] وفؤاد قاعود[٢٩]

على ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامبردج سنة ١٩٤٣ ودكتوراة في الأدب من جامعة بريستن عام ١٩٥٣ وعندما حصل على هذه الشهادات عمل مدرسا مساعدا للأدب الإنجليزي ثم مدرسا ثم أستاذا مساعدا في قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٠ - ١٩٥٤م) ثم رئيس قسم اللغة الإنجليزية، عام ١٩٥٤م وقام بالإشراف على القسم الأدبي بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣م.

[٢٤] **بهاء طاهر**: (ولد في القاهرة، مصر سنة ١٩٣٥) مؤلف روائي وقاصّ ومترجم مصريّ ينتمي إلى جيل الستينيات، منح الجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠٠٨ عن روايته واحة الغروب.

[٢٥] **غالي شكري غالي**: ولد في ١٢ مارس ١٩٣٥. كاتب وباحث وناقد ومؤرخ مصري عربي، كان معروفًا بدأبه ونشاطه الحثيث لتأصيل الفكر العربي المعاصر، حاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٦. توفي في مايو ١٩٩٨ عن عمر ناهز الـ ٦٣ عامًا.

[٢٦] **يحيى الطاهر عبد الله**: أعتبره الكثيرون شاعر القصة القصيرة ويعد من أبرز أدباء الستينيات. ولد عبد الفتاح يحيى الطاهر محمد عبد الله في ٣٠ أبريل عام ١٩٣٨ بقرية الكرنك مركز الأقصر بمصر، توفيت والدته وهو في سن صغيرة، فقامت بتربيته خالته، التي أصبحت زوجة أبيه فيما بعد، ليحيى ثمانية أخوة وأخوات ترتيبه الثاني بينهم، وكان والده شيخًا مُعمَّما يقوم بالتدريس في إحدى المدارس الابتدائية بالقرية، وكان لوالده تأثير كبير عليه في حبِّ اللغة العربية، بالإضافة إلى أنه كان مهتمًّا بكتابات العقاد والمازني.

تلقى تعليمه بالكرنك حتى حصل على دبلوم الزراعة المتوسطة ثم عمل بوزارة الزراعة لفترة قصيرة، في عام ١٩٥٩ انتقل يحيى إلى قنا مسقط رأس الشاعرين الكبيرين عبد الرحمن الأبنودي وأمل دُنقل، حيث التقى بهما وقامت بينهم صداقة طويلة.

توفي يحيى الطاهر عبد الله يوم الخميس ٩ أبريل ١٩٨١ قبل أن يتم الثالثة والأربعين بأيام في حادث سيارة على طريق القاهرة الواحات، ودفن في قريته الكرنك بالأقصر.

(٢٧) صلاح عيسى: كاتب وصحفي ومؤرخ ولد في ٤ أكتوبر عام ١٩٣٩ في قرية «بشلا» بمحافظة الدقهلية حصل على بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية عام ١٩٦١، رأس لمدة خمس سنوات عددًا من الوحدات الاجتماعية بالريف المصري، بدأ حياته كاتبًا للقصّة القصيرة ثم اتّجه عام ١٩٦٢ للكتابة في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي، تفرّغ للعمل بالصحافة منذ عام ١٩٧٢ في جريدة الجمهورية، أسس وشارك في تأسيس وإدارة تحرير عدد من الصحف والمجلّات منها الكتاب والثقافة الوطنية واليسار والصحفيون ورئيس تحرير جريدة القاهرة. اعتقل لأول مرة بسبب آرائه السياسية عام ١٩٦٦ وتكرر اعتقاله أو القبض عليه أو التحقيق معه أو محاكمته في سنوات ١٩٦٨ و ١٩٧٢ و ١٩٧٥ و١٩٧٧و١٩٧٩و١٩٨١ وفُصِل من عمله الصحفي، أصدر أول كتبه الثورة العرابية عام ١٩٧٩ وصدر له ٢٠ كتابًا في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي والأدب منها تباريح جريح ومثقفون وعسكر ودستور في صندوق القمامة ورجال ريا وسكينة.

(٢٨) سيد حجاب: هو شاعر مصري ولد بمدينة المطرية، بمحافظة الدقهلية. عرف سيد حجاب بكتابة أشعاره باللهجة العاميّة المصريّة للكثير من الأعمال الدراميّة والتليفزيونية المصرية، اشتهر سيد حجاب بلقب سيد شعراء العاميّة في الوطن العربي. تعتبر أكثر أعمال سيد حجاب من ألحان الموسيقار عمار الشريعي والموسيقار ياسر عبد الرحمن.

(٢٩) فؤاد قاعود: (ولد في ١٩٣٦) شاعر بالعامية المصرية، من مواليد ٥ أبريل ، الإسكندرية عام ١٩٣٦

الوظيفة: محرر مجلة صباح الخير منذ ١٩٦٣. نشأ فؤاد قاعود عاملًا بورش الاسكندرية ومصانعها الصغيرة ومطابعها، وبرز بين زجّالي الإسكندرية عام ١٩٥٢ وهو شاب في



وخيرى شلبى[٣٠] تجمعنا كأننا على ميعاد.

وكأننا نعرف بعضًا من سنوات طويلة، وكان الانتماء بيننا للجميع؛ بمعنى: من كان يمتلك حجرة ينام عنده آخر الليل اثنا عشر فردًا، من كسب خمس جنيهات يعول بهم الجيل كلّه، لا بد

السادسة عشرة من عمره. انتقل قاعود للقاهرة لقضاء فترة التجنيد، وتعرّف على صلاح جاهين، فقدمه إلي قرّاء مجلة صباح الخير عام ١٩٦٠، أخذت قصائده تظهر فيها لتلفت الأنظار إلي شاعر قوي، له أسلوبه الخاص، ورؤيته التي لم تفارق هموم الناس. عُيِّن فؤاد قاعود محررًا في مجلة صباح الخير عام ١٩٦٣، لكنه فضّل العُزلة، وآمَنَ بأن الشعر هو ما تتم كتابته بعيدًا عن الضوضاء والأضواء.

[٣٠] خيري شلبي:(٣١ يناير ١٩٣٨ بقرية شباس عمير، مركز قلين، محافظة كفر الشيخ)، كاتب وروائي مصري، له سبعون كتابًا.

من أشهر رواياته: السنيورة، الأوباش، الشطار، الوتد، وكالة عطية، موال البيات والنوم، ثلاثية الأمالي (أولنا ولد – وثانينا الكومي- وثالثنا الورق)،ب غلة العرش، لحس العتب، وغير ذلك.من مجموعاته القصصية: صاحب السعادة اللص، المنحنى الخطر، سارق الفرح، أسباب للكي بالنار، الدساس، أشياء تخصنا، وغيرها.من مسرحياته: صياد اللولي، غنائية سوناتا الأول، المخربشين.من مؤلفاته ودراساته: محاكمة طه حسين: تحقيق في قرار النيابة في كتاب الشعر الجاهلي، أعيان مصر (وجوه مصرية)، غذاء الملكات (دراسات نقدية)، مراهنات الصبا (وجوة مصرية)، لطائف اللطائف (دراسة في سيرة الإمام الشعراني)، أبو حيان التوحيدي (بورتيره لشخصيته)، دراسات في المسرح العربي، عمالقة ظرفاء، فلاح في بلاد الفرنجة (رحلة روائية)، رحلات الطرشجي الحلوجي، مسرح الأزمة (نجيب سرور) وغير ذلك، حصل على جوائز عدة، يعمل الآن كاتبًا مُتفرّغًا.

لكل واحد «سندوتش» وكوب من الشاي وعلبة سجائر، كان الكتاب يتنقّل بين الجميع.. لم يكن بيننا الإحساس بالملكيّة الخاصّة صراحة..

بمعنى أنه تطبيق لروح الاشتراكيّة.

● كنا بالفعل اشتراكيين.. حقيقيين.. أولاد أناس فقراء.. كالعمال مثلًا.. يُقال: لن يخسروا سوى القيود.. نحن لن نخسر شيئًا أصلًا؛ «البنطلون والقميص اللذين أرتديهما لم آتي بهما أصلًا».

حتى الملابس كانت مشاعا.. خاصة أننا أبناء الريف.. فقراء.. وأبناء أُجَرَاء وفلاحين مُعدمين، فلا شك أننا أصحاب نفع وفائدة في هذه الثورة، فقط كُنَّا نُنَبِّه لهذا؛ لتنتبه الحكومة لو لم تكن يقظة للأمر.. تعرض الأمور وتقترح طرقًا لعلاجها.. هذا كل ما في الأمر مجرد عرض العلاج.. أمّا إذا لم يوافق اقتراحك العلاج المقرر تنفيذه تكون بذلك قد خرجت على النص.. فتتناقض معك السُلطة.

معنى الحرية ومرارة الاعتقال عند الأبنودي:

بالنسبة للشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي شخصيًا.. ما هي قصتك مع الاعتقال؟

● لم يكن الاعتقال لفردي فقط، بل كان للجميع.. ففي يوم من الأيام جاءت الحكومة إلى «إيزافيتش» وكنا جلوسا عليها، وألقت القبض على الجميع ممن تحدثنا عنهم من قبل.. رأيت في ليلة واحدة كل أصدقائي في السجن.. صلاح عيسى.. سيد حجاب.. جمال الغيطاني.. أي شخص كان يكتب في هذه الأيام. وهناك من يُلخِّصُ تلك المأساة.. ذلك المخبر «عمّ سيد» حيث كان يسير بين الزنزانات ويقول: "إييه وأهي دنيا بتلعب بينا على رأي الأبنوبي».. فأرد عيه وأنا بالداخل وأقول له: «دا مش أنا يا عم سيد.. آه.. أمّال هُمّا جابوك هنا ليه؟..»

الرجل يتعجب؛ فأغانيَّ في الراديو وأنا في السجن.. إذن، فلماذا يدعونه يغنى هكذا؟.. والمحقِّقُ أيضًا كان يقول: «إيه حكاية الأبنودي دي.. إزاي جيت واشتهرت كده بسرعة».



أتيت في ١٩٦٢ لمدة أربع سنوات أصدرت خلالها ديوانين أو ثلاثة امتلأت الدنيا بغناء تلك الأشعار فاعتقلت سنة ١٩٦٦ وحدث هرج من الناس خارج السجن لاعتقالي، المهم أنني أعتبر الستة أشهر التي قضيتها في المعتقل أجمل أيام حياتي.

كيف؟!

لأنني عشت تجربة فريدة، جعلتني في خضم من السياسة رغمًا عني؛ لا بد أن أعرف سبب سجني، ومن الذي سجنني.. ولماذا؟.. وما هي حكاية السلطة هذه؟.. وما حقيقة الأمور؟.. ولذلك فإني أعتبر الفترة التي تلي السَّجْن من أثرى الفترات في حياتي؛ فكان هذا دافعًا لانكبابي على كل الكتب السياسة والتاريخ والاقتصاد والفلسفة.....إلخ.

وكيف أن تعادي السُّلطة من لا يعاديها.. وكيف لا تفرِّق بين المعارض الوطني والمعارض الذي يريد هدمك.

كنت تعيشه مثلما تتنفس وتتكلّم..

بالضبط هكذا...

نعم، عندما دخلت السجن ومعي أصدقائي.. كنت أنا البلبل المُغرِّد لهم في السجن.. ففي مرة سجن معنا صديقنا الأردني غالب هلسا[٣١]؛ لأنه كان صاحبنا..

كان يجلس في «إيزافيتش».

(●) كتب مقالة يقول فيها: «من لم يُسجن مع الأبنودي ما جرّبش السجن هو الوحيد اللي يخليك مش في السجن».. كنا نتعامل كأننا في البيت.. هذا عملنا؛ أن نقول والحكومة عملها تسجن.. والكل يؤدي عمله.. كنت أكتب وأنا في السجن.. أنتظر إلى أن ينام المعتقلون وأقوم فأكتب في (أحمد سماعين).. كان دُرَّتي أو «الماستر بيس» الخاصّ بي، تأمّل كمّ الصّفاء الذي اعتراني في هذا السجن؛ يرجع إلى أن جدران السجن هي آخر جدران في الدنيا..

---

(٣١) غالب هلسا، أديب أردني. ولد في إحدى قرى (ماعين) قرب (مادبا) في الأردن، يوم ١٨ ديسمبر ١٩٣٢، وتوفي في اليوم ذاته من عام ١٩٨٩ في دمشق عن سبعة وخمسين عاماً. تقلّب غالب في شتى البلاد العربية، من لبنان، إلى مصر، إلى العراق، إلى سورية، بالإضافة إلى وطنه الأردن، وأخيراً حطّ به الرحال في دمشق التي أقام بها إلى أن توفي بعد سبع سنوات من وصوله إليها.

بعد ذلك فإلى أين يذهبون بك؟! أنت أصلًا في السجن.. «فأنت حاطط ظهرك على حيطة السجن.. دا آخر جدار في العالم.. فأنت حر إلى ما لا حدود». ليس صحيحًا أن السجن حبس.. كان المقصود من هذا أن يُقيد حريتك ويُعطِّل لسانك.. في الحقيقة أنا لم أشعر بالحرِّيّة الحقيقية....

إلّا في السجن..!!

إلا في السجن.. قبل ذلك كنا نكتب ونُعبِّر عن الحرية وكأنها حمامة منطلقة من قفص.. تعبيرات بصورٍ بلهاء.

بلهاء!!

نعم، بلهاء.. عندما تُسجن وتجرّب.. تعرف أن صعودك السُّلم «بنهجان» أمام بيتك.. تلك هي الحرِّيَّة، الحرِّيَّة أن تقرأ الجريدة وأنت - لا مؤاخذة - في الحمام صباحًا.. إذن، فالحرية تتشكل عندك في متطلبات أخرى.. ومعانى أخرى؛ كأن تُدخِّن سيجارةً كاملةً.. فمنا من كانت تأتيه السجائر من أسرته ومنا من لا تأتيه؛ لعدم مقدرة أسرته على ذلك.. لذلك كنا نعيش حياة

عامة، نصنعها بأنفسنا؛ لنفترض مثلًا أنه جاءني ثلاثمائة علبة سجائر.. فكنت آخذ سيجارتين مثلي في ذلك كأي معتقل.. وكان عبدالحليم حافظ[٣٢] يرحمه الله -ولن أنسى له هذا- يستعمل كل علاقاته من أجل أن يرسل لى بكميات من السجائر، هو وسيدة كانت زوجة بليغ حمدي[٣٣] واسمها آمال تحيمر -يرحمها الله-، فقد

---

(٣٢) عبد الحليم حافظ: (٢١ يونيو ١٩٢٩ - ٣٠ مارس ١٩٧٧) مطرب مصري، اسمه الحقيقي عبد الحليم علي شبانة. وُلد في مدينة الحلوات، محافظة الشرقية القريبة من محافظة القليوبية ويوجد بها السرايا الخاصّة به ويوجد بها الآن بعض المتعلقات الخاصة به. يعتبر الفنان عبد الحليم حافظ من أهم المطربين الرومانسيين العاطفيين في فترة ظهوره من ناحية، وكان الممثل لمبادىء الثورة وللحلم المصري من ناحية أخرى في أغانيه الوطنية.

توفي يوم الأربعاء في ٣٠ مارس / آذار ١٩٧٧ في لندن عن عمر يناهز الثمانية والأربعين عاما، والسبب الأساسي في وفاته هو الدم الملوث الذي نقل إليه حاملا معه التهاب كبدي فيروسي «فيروس سي» الذي تعذر علاجه مع وجود تليف في الكبد ناتج عن إصابته بداء البلهارسيا منذ الصغر كما قد أوضح فحصه في لندن، ولم يكن لذلك المرض علاج وقتها وبينت بعض الآراء أن السبب المباشر في موته هو حدش المنظار لأمعائه مما أدى إلى النزيف، وقد حاول الأطباء منع النزيف بوضع بالون ليبلعه لمنع تسرب الدم، ولكن عبد الحليم مات ولم يستطع بلع البالون الطبي.

(٣٣) بليغ عبد الحميد حمدي مرسي: من أهم و أشهر الملحّنين المصريين، ولد في حي شبرا بالقاهرة في ٧ أكتوبر ١٩٣١، كان والده يعمل أستاذًا للفيزياء في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا). أتقن العزف علي العود وهو في التاسعة من العمر. في سن الثانية عشر حاول الالتحاق بمعهد فؤاد الأول للموسيقى إلا أن سنّه الصغير حالت دون ذلك.

كانت تستبسل من أجل أن يأتينا صندوق مثلًا به مائة علبة سجائر أومائتين.. وهي لا تعرف أحدًا في هذا المكان إلا عبد الرحمن الأبنودي، وعبدالحليم أرسل أيضًا للأبنودي، فتوجد لدينا كميات من السجائر.. ويوجد صندوق للحياة العامة يوضع فيه كل شيء، كنت آخذ سيجارتين كأي شخص آخر.. عندما نريد التدخين – أنا شخصيا أدخن طوال النهار وأسهر للكتابة ليلًا – فلن تكفينا السيجارتان.. الحل أن نؤلف مجموعة من أربعة أفراد، يضع كل منا

التحق بمدرسة شبرا الثانوية، في الوقت الذي كان يدرس فيه أصول الموسيقى في مدرسة عبد الحفيظ إمام للموسيقى الشرقية، ثم تتلمذ بعد ذلك على يد درويش الحريري وتعرف من خلاله على الموشّحات العربية. التحق بليغ بكلية الحقوق – في نفس الوقت – التحق بشكل أكاديمي بمعهد فؤاد الأول للموسيقي (معهد الموسيقى العربية حاليًا).

لحّن لكثير من المغنيين المشاهير كأمثال أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ونجاة وهاني شاكر وسميرة سعيد، تزوج من الفنانة وردة الجزائرية بعد قصة حب عنيفة، ولحن لها العديد من أغانيها.

قضى بليغ أربع سنوات متنقلًا بين باريس ولندن ودول أخرى بعد اتهامه بمقتل الفنانة المغربية الصاعدة سميرة مليان عام ١٩٨٤، حيث لقيت حتفها إثر السقوط من شُرفة شقته. ثم تبرئ بليغ لاحقًا من هذه القضية عام ١٩٨٩ وقيدت ضد مجهول.

توفي بليغ في ١٢ سبتمبر ١٩٩٣، عن عمر يُناهز ٦٢ عامًا، ونعته الأهرام في صبيحة اليوم التالي بقولها (مات ملك الموسيقى)، وأعلنت وزارة المالية المصرية أنها بصدد طبع عملة تذكارية باسمه، إلا أن ذلك لم يحدث حتى اللحظة.

السيجارتين ويصنع كل منا مبسمًا له من قصدير أنبولة معجون الحلاقة أو معجون الأسنان.. فأنبولة المعجون بعدما ينتهي المعجون منها تجدها مضغوطة وليست ملحومة.. لذلك يسهل فكّها واستخدامها.

إذن، حاولتم أن تبتكروا في السجن وتكتشفوا...

السجن ملك الاختراع.. صنعنا أيضًا من أمبولات المعاجين والأسنان «التَوْتَوْ»، الذي يشبه السهاري لنطهي عليه الطعام..وهناك من كانوا أصحاب مهن وحرف معنا في الحبس، يساهم كل واحد بخبرته.. وكانت تقطع السيجارة الواحدة إلى ثلاث سجائر، ويدخن هذا الثلث المقطوع أكثر من مسجون.

لذلك قلت لي عن الحرية: «متعة أن تشرب السيجارة كاملة».

نعم

قالوا قديمًا: «إحدى الراحتين» وكانوا يقصدون الموت واليأس.. نضيف لهم راحة ثالثة وهي «السجن».

ما زلت أقول لك: إن أمتع وقت قضيته.. قضيته في السجن مع إخواني، وكنا ننظم الأشعار ليلًا. عندما سُجنت سجنًا انفراديًّا في الزنزانة علمت لماذا أنتج فؤاد حداد شعره منظومًا وعلى شكل المربعات والمواويل؛ يرجع السبب في ذلك إلى أن السجن لا يوجد فيه قلم ولا ورقة ولا أية أداة من أدوات الكتابة.. إذن فأنت مضطر إلى أن ترجع إلى طريقة الأجداد..طريقة سوق عكاظ؛ أن تقول البيت وتظل تحفظه ويتناقل راوية، يحَفَّظه لأناس حتى يطمئن أنه استقر فيقول البيت الثانى..فكون مشكلة الكتابة في السجن تجعلك تعود مرة أخرى كامرئ القيس أو النابغة أو زهير؛ تقول مثلا «صحْيت المدينة في يوم ملقتش جناينها» وتظل تقوله ما يقارب من مائتين أو ثلاثمائة مرة خوف ضياعه قبل أن تقول الثانى.. «القمري طار منها وغربانها جانييها» وتتفنن في قولك جناينها.. لأنه ليس من شيء يشغلك.

إذن، تتفنّن في هذا.

(●) لا بـد لـك أن تتفـنن؛ لأن الوقـت لا يمـر في الـسجن الانفرادي.. ما إن تجد نملة مثلًا تصعد على جدار الزنزانة فتتركها إلى أن تبدأ في الابتعاد عن يديك، ثم تبسط لها كفّك لتنزل عليه..

تتفرج عليها ثانية؟

(●) مـن الممكـن أن يحدث لـك جنـون في الـسجن الانفـرادي، بالضبط كما تصور لنا المسرحيّات القديمة هذا الأمر مثل سجناء التونة. فلا زمن يمر.. ولو أن قليلًا من النور دخل من الشباك.. تظل تطارده وتتابعه إلى أن ينتهي.. بالضبط كمطاردتك الطائرة بعينيك حتى تختفي.. وتكتشف أن هذا كله قد مرّ في دقيقتين أو ثلاثة.. أخذوا منك ساعتك وأي آلات حادّة معك.. كنت أسمع الأولاد الصغار وقت خروجهم من المدرسة ظهرًا -وأنصت لهذا جيدًا في وقت محدد- وهم يقولون «العبيط آهه العبيط أهه» (بصوت منخفض).. كنت أسمعهم وأنا في أعلى القلعة عند الأبراج وهم في سفحها.

تسمعها وكأنها غنوة.

(●) فهم يقولون لبعضهم هذا الكلام وقت خروجهم من المدرسة.. وأنت تنتظرهم كل يوم وأذنك تنتظرهم كي تتبع أطياف أصواتهم لأنك لا تسمعهم، بل تسمع أطياف أصواتهم.. هذه تجربة لا يمكن أن يمنحها لك الواقع..

استقلالية المبدع:

الأستاذ عبد الرحمن الأبنودي، لقد جعلتنا بشكلٍ محسوسٍ جدًّا وملموسٍ جدًّا نشعر بنعمة الحرية الحقيقية وما نعيشه الآن بصدقٍ شديد..

(●) وللأمانة، يوجد نوعان من الحرية ..لا شك أن في عصر عبد الناصر كان الخوف مقرونًا بالخطوة وبالهمسة.. أنت تكتب وإلى جوارك أو في داخلك مُخبر.. أنت تمشي وأنت تعلم أن خطواتك مرصودة.. تلك مصيبة كبيرة للكاتب.. الإبداع هو لحظة الاختيار العليا والمثلى.. عندما تكتب شعرك مثلًا يجب ألا يدخل في اعتبارك أي شيء آخر.

لا محظورات.



- ومنها السجن.. فإذا دخل هذا المخبر بينك وبين قلمك..

- لن تبدع.

- تحتاج إلى قوة فريدة جدًّا للتخلّص منه.

- **بالطبع.**

- هذا ما أريد قوله، نحن في هذا الوقت الذي نعيشه لا نحس بهذا الإحساس على الإطلاق..

- **بالتأكيد.**

- وكما يُقال: المعاناة والفقر يصقلان الأديب ويمنحانه تجارب إبداعية كبيرة، والرفاهية تقتله وتخمد الإبداع فيه فيقل حماسك للمقاومة ومن ثمّ يقل حماسك الشعريّ.

- **تبحث عن معركة..**

- من دون دافع واستفزاز لا يوجد إبداع، الديموقراطية شيء مُطْلق.. لكننا تعلّمنا أيضًا في هذا العصر الذي نعيشه أنه لا توجد تلك الديموقراطية. الديموقراطية معركة يومية.. لا يكفي أن أسمع دبيب المخبر خلفي.. أو ألا تُنشر قصيدتي.. الآن توجد

صحف معارضة.. فلو أن الجرنال القومي لم ينشر قصيدتي سأنشرها في صحف المعارضة من دون خوف من السجن وما إلى ذلك.

الشيء الآخر أنني أجد نفسي والحكومة ضد هذه القوة التي تهدد أمن الوطن.. أنا لست مع الحكومة ولا أرغب أن أكون مع الحكومة.. لكنني أحب أن أكون الصابع الذي يشير.. والصوت الذي يُنبِّه الحكومة ولا أكون نسيجًا منها؛ لأنني في هذه الحالة سأعمى ولا أرى إلا ما تراه، ومهم جدًا للمبدع أن يكون خارج كل الأطر.. خارج الأحزاب وخارج الحكومة وخارج المنظمات... إلخ.

السُّلطة.

أحزاب المعارضة والسُّلطة.. كل هذه الأنواع من التشكيلات لابد أن تكون خارجها؛ لأن المعارضة أيضًا ليست مُنزَّهة، وليست هي النقاء ذاته. فنحن نرى أنواعًا كثيرةً من المعارضة منها من له هدف يخصّه، ومنها مَن هو مِن أجل الوطن..



إلـخ، والحكومـة ليست مُنزَّهـة أيـضًا.. الـشيء الوحيـد المنـزَّه هـو المبدِع.. لأنه صوت أناسه.. وأنا أتكلّم عن نوع مُعيّن من المبدعين ليس كـل المبـدعين. لـيس المعنـى أن يكـون لـديّ بيـت وسـيارة.. فتغيب عني هموم الفقراء.

في الحقيقـة أرى الآن أننـا كـسبنا أشـياءً كثـيرة مُهمّـة وخـسرنا أشياءً كثيرة مهمة أيضًا؛ كسبنا الأمان.. أصبح المبـدع آمنـا، خـسرنا حقيقة التعبير عـن فقـر الفقـراء الآن وهـم فقـراء للأمانـة.. وفقـراء جدًّا، منتهى مـا يقـدم لهـم أن يـذهبوا إلى بـلاد الخلـيج .. إلى الـبلاد العربية ويعـودوا بـالتلفزيون وبالغسالة.. هـم عـلى أسـاس عـالمهم القديم أحسن حالًا، فجأة رُفِعتْ لهم أسعار الكهرباء مـثلًا بطريقـةٍ تجعلهم لا يستعملون هذه الأشياء..ومن يملك لمبتين في بيته وكـان يدفع أربع جنيهات في الشهر فصار يدفع أربعـة وعـشرين جنيهًـا.. فآثر أن يظل بدونهما وافتقد طفله الضوء الذي كان يذاكر عليه.

حدثت أشـياء غريبـة في التركيبـة الاجتماعيـة نفـسها، أدخلـت العالم في عالم الاستهلاك.. وفهّمتـه أن كـل يـوم سـينزل للعمـل فيـه

يكسب مائة من الدولارات، لكن ما أمرّ الواقع؛ إذ ينزل ويرجع كما هو بأجرته اليومية سبع جنيهات مثلًا في اليوم.

لو أذِن لي الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي بمناقشة على الهامش؛ أنت تتكلم على المستوى الفردي.. أوالعلاقة بين الدولة والمواطن.. لو تكلّمنا على مستوًى أعمّ؛ الدولة والعالم من حولنا، والعصر الذي نعيش فيه أصبح عصر المنافسة وعصر الكدِّ والكدح للّحاق بالركب العالمي.. ليس عصر الدعم.. بمعنى لم يبق هناك من يمد يده لمساعدة الآخر.. ليس من المفروض الآن أن ينتظر أحدٌ مساعدة من الآخرين.. المفروض أن يجتهد وأن يحاول العيش والنهوض بنفسه.

«صلِّ على النبي يا عم».

عليه الصلاة والسلام.

لماذا يعاقب الشعب المصري بما صنعناه نحن.. أليس هو من فعل هذا؟!



هذا أيضًا ليس اختيارنا، هذا اختيار عـالميٌّ.. العـالم كلـه الآن وما به من تغيرات عالمية..

● كن معي حتى النهاية.. الإنسان المصرى ليس له ذنب وهو من أفضل الناس التي تعمل على وجه الأرض، العامل المصري عندما يسافر إلى بلد أجنبي في خلال سنتين أو ثلاث سنوات يصير المدير.. العامل الصغير تمامًا.. ونحن نعلم كل هذه القصص.. وأن الظروف هي التي تصنع الإنسان.. فعلينا أن نصنع ظروفًا إنسانية.. هذه مقولة دائما ماأسير بها.. ما دامت الظروف هي التي تصنع الإنسان فعلينا أن نحقق له ظروفًا إنسانية؛ لكي نحصل على أفضل إنسان موجود..مثلًا أي أحد يصعد الأتوبيس ويكون زحمة يجد أناسًا شرسة ومن دون أدب تتشاجر ..إلخ

ديناميات الزحام

● فنحن دائمًا المسؤولون عن الناس.. اجعل اقتصادك كلّه كالعاشر من رمضان والشعب كله سيعمل كما يعمل عمال العاشر من رمضان.

الثنائية اللغوية:

بالطبع كانت العامية من اختيار الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي.. فأبدع بها. في دراسة أكاديمية عن تاريخ الأدب العاميّ في مصر، يخلص الدكتور أحمد صادق الجمّال إلى أن «سلاطين المماليك[٣٤] الذين لم يجيدوا الفصحى هم الذين شجّعوا استخدام العاميّة، فضلًا عن أن ظهور العامية كان نتيجة الانفصال الاجتماعي وملاءمة العامية للتنفيس عن المظالم التي عاناها الشعب».. فما مناقشة سيادتك لهذه المقولة؟

---

(٣٤) المماليك: هم سلالة من الجنود حكمت مصر والشام والعراق و أجزاء من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن وبالتحديد من ١٢٥٠ إلى ١٥١٧م. كان المماليك عبيدًا من أصول تركية من آسيا الوسطى. أسسوا في مصر والشام دولتين متعاقبتين كانت عاصمتهما آنذاك القاهرة؛ الأولى دولة المماليك البحرية، ومن أبرز سلاطينها عز الدين أيبك وقطز والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون والأشرف صلاح الدين خليل الذي استعاد عكا وآخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام، ثم تلتها مباشرة دولة المماليك البرجية بانقلاب عسكري قام به السلطان الشركسي برقوق الذي تصدى فيما بعد لتيمورلنك واستعاد ما احتله التتار في بلاد الشام والعراق ومنها بغداد. فبدأت دولة المماليك البرجية الذين عرف في عهدهم أقصى اتساع لدولة المماليك في القرن التاسع الهجري. وكان من أبرز سلاطينهم برقوق وابنه فرج وإينال والأشرف سيف الدين برسباي فاتح قبرص وقلنصوه الغوري وطومان باي.

● بالطبع هذا كلام علمي صحيح، لكننا في العصر الحديث ما عدنا نحسم الأمور بهذا المعنى.. حدثت ثنائية لغوية تاريخية.. فمنذ تدوين اللغة وتثبيتها ما كان ممكنًا أن توقف التطور البشري في المنطقة العربية عن حركته، فهذه الحركة الجديدة تشكّل اللغة إيقاعًا وسرعة؛ لأن اللغة كائن يتحركّ مع حركة المجتمع ونحن دائمًا ما نقول: «إنه بناء فوقي لحركة المجتمع.. لحركة الناس». فلن يذهب الإنسان ليرى صحة أو خطأ ما دونه العلماء.. إن حركة المجتمع بالفعل خانت تثبيت اللغة -إذا صحّ التعبير- أو أن ثبات اللغة لم يتواءم مع حركة المجتمع، فحدث هذا الانشقاق اللغوي بين لغةٍ مدوّنة ولغةٍ منطوقةٍ ليس في مصر فقط وإنما في كافة...

العالم العربى.

● نعم، في كافة أرجاء العالم العربي، وهناك أكثر من لهجة .. وواقع لغوي مختلف في القطر الواحد.. وهناك بلاد حين غزاها الاستعمار حدث خلط لغوي رهيب جدًا.. أصبح مفهومنا للغة في العصر الحديث على أنها أداة للتعبير، وعاميّتنا المصرية نقية بالطبع

والعامية الصعيديّة أيضًا.. فمعظم سكّان الصعيد هم قبائل مهاجرة من الجزيرة العربية.. ليس هذا فقط، بل عند هجرتهم هاجروا بدياناتهم، عقائدهم، تقاليدهم، موروثهم، ثرواتهم وبلغتهم أيضًا. مؤكد أن النيل واقع جديد، مجتمع زراعي في مواجهة البداوة التي جاءوا منها، فكان لا بد أن تنشأ مزارع لغويّة جديدة تضيف لقاموسهم الموجود أصلًا لديهم، حيث افتقادهم لمفردات الواقع الجديد، لكن بمجرد اكتساب هذا أضيفت للغتهم كل ثراء حضارة النيل، لم يتخلوا عن الأصول اللغويّة التي هي أساس اللغة العربية.

الهوة بين الفصحى والعاميّة:

أيعني هذا أن الهوّة بين اللغة العاميّة الصعيدية مثلًا والفصحى أقل من الهوة الموجودة بين العاميّة في بقية المناطق والفصحى؟

(●) لا توجد كلمة صعيديّة لن تعثر عليها في القاموس، والتراكيب اللغوية – وتلك مسألة مهمة أيضًا - غير المفردات..

التراكيب اللغوية هي تراكيب فصحى.. التقديم والتأخير وما إلى ذلك.. منطق اللهجة العامية في الصعيد هو منطق العربية الفصحى. وأنا بالطبع محظوظ؛ بأن أتيح لي في «أبنود» هذه العامية، وأتاح لى الشيخ الأبنودي وابنه الشيخ جلال الفصحى.. تخرجا من الأزهر وعلماء دين وتراث.. منحت الشيئين، الجوهرتين؛ لغة الواقع الاجتماعي الحي.. الفصحى الحية والفاعلة في الحياة، والفصحى كما تركها أجدادنا، فمن هذا الخليط تكّونت لديّ هذه الطينة التي أشكِّل منها عالمي الشعري.. وأقول أيضًا مثلما قلت لك «إن الثورة بالنسبة لي قامت في ١٩٥٦»، فالشعر أيضًا بالنسبة لي لم أفهمه إلا بالعامية عندما كبرت؛ لأنه طوال كتابتك بالفصحى فأنت تقلّد أنماطًا ونماذجَ لمن سبقوك وتحاول أن يكون مَرْضِيًّا عنك ممن هم حرّاسٌ على هذا التراث.. ليس لك فيه ذاتية بالكثير أو القليل إلا الضَعْف.. إلا الضعف عن...

هذا رأي خطير!!

نعم، والله، إلا الضعف عن كونك تضاهي المتنبي[٣٥] ولا امرئ القيس[٣٦]

---

(٣٥) المتنبي: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أبو الطيب الجعفي الكوفي، ولد سنة ٣٠٣ هـ في الكوفة بالعراق، وعاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكّنًا باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية، لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. تدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ويقولون عنه بأنه شاعر أناني ويظهر ذلك في أشعاره. ترك تراثًا عظيمًا من الشعر، يضم ٣٢٦ قصيدة، تمثل عنوانًا لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير. قال الشعر صبيًا. فنظم أول أشعاره وعمره ٩ سنوات. اشتهر بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية باكرًا.

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة مطلعها:

مَا أنْصَفَ القَوْمُ ضبّهْ وَأُمَّهُ الطُّرْطُبّهْ
وَإنّمَا قُلْتُ ما قُلْـ ـتُ رَحْمَةً لا مَحَبّهْ

مقتله:

عندما كان المتنبي عائدًا يريد الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محسّد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة، وكان في جماعة أيضًا. فاقتتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محسّد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربيّ بغداد.

قصة قتله أنه لما ظفر به فاتك... أراد الهرب فقال له ابنه... الهرب وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم ..... فثبت المتنبي لما قال في بيته فقُتل، سُمي هذا البيت: «البيت الذي قتل صاحبه».

(٣٦) امرؤ القيس بن حجر: من بلاد اليمن و هو أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة. كان من أكثر شعراء عصره خروجًا عن نمطية التقليد،



ولا شوقي(٣٧)

وكان سبّاقًا إلى العديد من المعاني والصور. وامرؤ القيس صاحب أوليات في التشبيهات والاستعارات وغير قليل من الأوصاف والملحات. وقد تأثر بوقفة ابن حزام الطللية، وسار يستخدمها في مطالع قصائده، التي اشتهر بها.

لم تكن حياة امرؤ القيس طويلة بمقياس عدد السنين ولكنها كانت طويلة وطويلة جدا بمقياس تراكم الإحداث وكثرة الإنتاج ونوعية الإبداع. لقد طوف في معظم أرجاء ديار العرب وزار كثيرًا من مواقع القبائل بل ذهب بعيدًا عن جزيرة العرب ووصل إلى بلاد الروم إلى القسطنطينية ونصر واستنصر وحارب وثأر بعد حياة ملأها في البداية باللهو والشراب ثم توّجها بالشدة والعزم إلى أن تعب جسده وأنهك وتفشى فيه وهو في أرض الغربة داء كالجدري أو هو الجدري بعينه فلقي حتفه هناك في أنقرة في سنة لا يكاد يُجمع على تحديدها المؤرخون وان كان بعضهم يعتقد أنها سنة ٥٤٠م.

(٣٧) أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك: ملقب بأمير الشعراء (١٨٦٨- ٢٣ أكتوبر ١٩٣٢)، شاعر مصري من مواليد القاهرة. يعتبره منير البعلبكي أحد أعظم شعراء العربية في جميع العصور حسبما ذكر ذلك في قاموسه الشهير (قاموس المورد).

ولد لأب ذي أصول كردية من مدينة السليمانية العراقية وأمّه تركية الأصل وكانت جدته لأبيه شركسية وجدته لأمه يونانية، دخل مدرسة «المبتديان» وأنهى الابتدائية والثانوية بإتمامه الخامسة عشرة من عمره، فالتحق بمدرسة الحقوق، ثم بمدرسة الترجمة. ثم سافر ليدرس الحقوق في فرنسا على نفقة الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل. أقام في فرنسا ثلاثة أعوام حصل بعدها على الشهادة النهائية في ١٨ يوليو ١٨٩٣م. نفاه الإنجليز إلى إسبانيا واختار المعيشة في الأندلس سنة ١٩٢٧م وبقي في المنفى حتى عام١٩٢٠. لقب بأمير الشعراء في سنة ١٩٢٧م. وتوفي في ٢٣ أكتوبر ١٩٣٢م وخلد في إيطاليا بنصب تمثال له في إحدى حدائق روما.

ولا زهير[٣٨] ولا شوقي ولا البارودي[٣٩]، قد توجد بعض الروائح التي تمس الصلة بهؤلاء، لكن ستظل طوال عمرك تحسّ

---

(٣٨) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضر.

كانت ولادة زهير في بني غطفان. وبين هؤلاء القوم نشأ وترعرع. ومنهم تزوّج مرّتين. في الأولى تزوّج أم أوفى التي يذكرها في مطلع معلقته:

أمِن أمّ أوفى دمنةٌ لَمْ تكلّم بحوْمانَة الدرّاج فالمتثلّم

وبعد طلاقه «أم أوفى» بسبب موت أولاده منها، اقترن زهير بكبشة بنت عمّار الغطفانية ورزق منها بولديه الشاعرين كعب وبجير.

لكن زهيرًا- كما يفهم من حديثه وأهل بيته- كان من مزينة- وما غطفان إلا جيرانهم، وقدْمًا ولدتهم بنو مرّة وفي الأغاني -حديث زهير في هذا الشأن رواه ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني.

ولزهير ديوان شعر عني الأقدمون والمحدثون بشرحه. وأبرزهم الأعلم الشنتمري. وفي طليعة من حقّق ديوان زهير حديثًا المستشرق لندبرغ في ليدن سنة ١٨٨١م. ويدور شعر الديوان في مجمله حول المدح والفخر ودور زهير في ظروف حرب السباق، وتتوّج الحكمة هذا الشعر بهالة من الوقار تعكس شخصية الشاعر الحكيم.

(٣٩) محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري شاعر مصري. رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء الثورة العرابية وتولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له.

ولد في ٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٣٩ م في حي باب الخلق بالقاهرة لأبوين من أصل شركسي من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي).. وكان أجداده ملتزمي إقطاعية إيتاي البارود بمحافظة البحيرة ويجمع الضرائب من أهلها. يعتبر البارودي رائد الشعر العربي الحديث الذي جدّد في القصيدة العربية شكلًا ومضمونًا، ولقب باسم «رب السيف والقلم».

بالضَّعف والانسحاق أمام النماذج التي سبقتك. أضف إلى أنها لن تكون تجربتك الخاصة كاملة إلا بإطار لغوي خاصّ بك تمامًا.

لكن لو كان الشعراء مثلًا كصلاح عبد الصبور[٤٠] أو أحمد عبد المعطي حجازي[٤١] أو أمل دنقل[٤٢] اتبعوا منطقك هذا ما كانوا أبدعوا بالفصحى.

توفي البارودي في ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها.

(٤٠) محمد صلاح الدين عبد الصبور يوسف الحواتكي: وُلِد في ٣ مايو ١٩٣١ بمدينة الزقازيق. يُعد صلاح عبد الصبور أحد أهم رواد حركة الشعر الحر العربي ومن رموز الحداثة العربية المتأثّرة بالفكر الغربي، كما يُعدّ واحدًا من الشعراء العرب القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في التأليف المسرحي، وفي التنظير للشعر الحر.

التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية في عام١٩٤٧ وفيها تتلمذ علي يد الشيخ أمين الخولي الذي ضمّه إلى جماعة (الأمناء) التي كوّنها، ثم إلى (الجمعية الأدبية) التي ورثت مهام الجماعة الأولى. كان للجماعتين تأثيرٌ كبيرٌ على حركة الإبداع الأدبي والنقدي في مصر.

في ١٣أغسطس من عام ١٩٨١ رحل الشاعر صلاح عبد الصبور إثر تعرضه إلى نوبة قلبية حادة أودت بحياته، إثر مشاجرة كلامية ساخنة مع الفنان الراحل بهجت عثمان، في منزل صديقه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، وكان عبد الصبور يزور حجازي في منزله بمناسبة عودة الأخير من باريس ليستقر في القاهرة. تقول أرملة صلاح عبد الصبور السيدة سميحة غالب: سبب وفاة زوجي أنه تعرض إلى نقد واتهامات من قِبل أحمد عبد المعطي حجازي، وبعض الموجدين في السهرة وأنه لولا هذا النقد الظالم لما كان زوجي قد مات.

(٤١) أحمد عبد المعطي حجازي: شاعرٌ وناقدٌ مصري، ولد عام ١٩٣٥ بمدينة تلا محافظة المنوفية بمصر. حفظ القرآن الكريم، وتدرج في مراحل التعليم حتى حصل على دبلوم دار المعلمين عام ١٩٥٥م، ثم حصل على ليسانس علم الاجتماع من جامعة السوربون الجديدة عام ١٩٧٨م، وشهادة الدراسات المعمقة في الأدب العربي عام ١٩٧٩م.

أسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويُعد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر. ترجمت مختارات من قصائده إلى الفرنسية والإنجليزية والروسية والإسبانية والإيطالية والألمانية. حصل على جائزة كفافيس اليونانية المصرية عام ١٩٨٩، جائزة الشعر الأفريقي، عام ١٩٩٦ وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٧.

من دواوينه الشعرية:

* مدينة بلا قلب ١٩٥٩.
* أوراس ١٩٥٩.
* لم يبق إلا الاعتراف ١٩٦٥.
* مرثية العمر الجميل ١٩٧٢.

من مؤلفاته:

* محمد وهؤلاء.
* إبراهيم ناجي.
* حديث الثلاثاء.
* الشعر رفيقي.

(٤٢) أمل دنقل هو شاعر مصري مشهور قومي عربي، ولد في عام ١٩٤٠ بقرية القلعة، مركز قفط بمحافظة قنا في صعيد مصر. وتوفي في ٢١ مايو عام ١٩٨٣م عن عمر ٤٣ سنة. زوجته هي الصحفية عبلة الرويني.

فقد أمل دنقل والده وهو في العاشرة من عمره مما أثر عليه كثيرًا واكسبه مسحة من الحزن تجدها في كل أشعاره.

صدرت له ست مجموعات شعرية منها:

● بل اتبعوه؛ الحقيقة عندما تنظر بداية من عبد الصبور والمدرسة الجديدة؛ حجازي وأمل.. كانت الدنيا كلها كذلك بما فيهم الشعراء السودانيين الذين كانوا معنا ورحلوا.. جايل عبد الرحمن وتاج السر[٤٣] ... إلخ .

---

* البكاء بين يدي زرقاء اليمامة - بيروت ١٩٦٩.
* تعليق على ما حدث - بيروت ١٩٧١.
* مقتل القمر - بيروت ١٩٧٤.

أصيب أمل دنقل بالسرطان وعانى منه لمدة تقرب من ثلاث سنوات وتتضح معاناته مع المرض في مجموعته "اوراق الغرفة ٨" وهو رقم غرفته في المعهد القومي للأورام والذي قضى فيه ما يقارب ال ٤ سنوات، وقد عبرت قصيدته السرير عن آخر لحظاته ومعاناته، وهناك أيضًا قصيدته "ضد من" التي تتناول هذا الجانب، والجدير بالذكر أن آخر قصيدة كتبها دنقل هي "الجنوبي".

لم يستطع المرض أن يوقف أمل دنقل عن الشعر حتى قال عنه أحمد عبد المعطي حجازي ((انه صراع بين متكافئين، الموت والشعر)).

رحل أمل دنقل عن دنيانا في ٢١ مايو عام ١٩٨٣م لتنتهي معاناته في دنيانا مع كل شيء. كانت آخر لحظاته في الحياة برفقة د.جابر عصفور وعبد الرحمن الأبنودي صديق عمره، مستمعًا إلى إحدى الأغاني الصعيدية القديمة، أراد أن تتم دفنته على نفقته لكن أهله تكفلوا بها.

(٤٣) الدكتور تاج السر الحسن الحسين: ولد عام ١٩٣٥ في جزيرة أرتولي- الولاية الشمالية (السودان) أنهى دراسته الابتدائية في النهود- كردفان ١٩٤٦، والقسم الابتدائي بمعهد النهود الديني ١٩٥٠، وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر وتخرج فيها ١٩٦٠، ثم سافر إلى موسكو والتحق بمعهد ماكسيم جوركي للآداب ١٩٦٢، وتخرَّج فيه ١٩٦٦ ثم حصل على الدكتوراة ١٩٧٠.

هؤلاء.. خرَّجوا من اللغة العربية لغةً فريدةً خاصَّةً.. وكانوا كثيرًا ما ينحوا نحو العامّيّة، مثل: «وشربت شايًا في الطريق»، «ورتقت نعلي في الطريق».. هم كسروا المسافة بين الأنماط القديمة، وبين الإدراك الذي أدركته؛ بأن الشعر يجب أن يتواصل مع البشر، فأنت عندما تقول القصيدة القديمة لشوقي مثلًا.. تقولها ولها «قفلة» والناس تصفق «والمن تكالا البتلالا لالالا.. في البتلالا اللي اللالالالالا»..كن معي حتى النهاية، فلا تأخذك الغيرة هكذا؛ أنا أيضًا أغار على اللغة العربية كغيرة حُرَّاسها...

نعم.. فأنت حرصت على دراستها أيضًا

ما أريد قوله: نحن أبناء شرعيون ومخلصون للغة العربية الفصحى، لكن يعزّ علينا أن تُغلق عليها الصناديق هكذا.. فنسبة

اشتغل بالتدريس في معهد العلاقات الدولية بموسكو ١٩٦٧- ١٩٧٣. أثناء وجوده في القاهرة وموسكو صدرت له مجموعات شعرية، واشترك في الندوات الأدبية والشعرية وفي البرامج الإذاعية والتلفزيونية، كما أسهم بالكتابة في الصحف السودانية والمصرية والعربية. كما عمل بالتدريس في جامعة عدن في السبعينيات من القرن الماضي.

من دواوينه الشعرية: (قصائد من السودان ١٩٥٦- القلب الأخضر ١٩٦٨- قصيدتان لفلسطين ١٩٩١- النخلة تسأل أين الناس ١٩٩٢).



الأميّة في بلدٍ كبلدنا هذه نسبة ليس من الداعي ذكرها.. والفجوة بين الأمية وبين التعليم أو بين الثقافة فجوة أيضًا واسعة.. وبين المتعلمين وبين الثقافة أيضًا واسعة جدًّا.. كل هذه المناطق واقعة من «الغربال الثقافي»، فهنا يصبح الفكر متعة.. متعة المرفّهين..

ترف..

نعم، ترف بعيد عن البشر ويظل بعيدًا.. مثلًا أنا أقرأ الفلسفة لماذا؟!.. نعم.. أقرأ الفلسفة الإسلامية، لكن الفلسفة المادِّية[44] والديالكتيكية[45] والمثالية[46] لماذا؟!.. دعك من لماذا

(٤٤) المادية، في الفلسفة: نظرية حيث كل الموجودات هي نتاج للمادة. استنادًا إلى تلك النظرية، المادة هي الحقيقة المطلقة، والوعي يُفسَّر عن طريق التغيرات الفيزيوكيميائية في الجهاز العصبي. المادية هي التضاد للمثالية، حيث تفوّق الوعي مثبت والمادة تخصص كمعارضة للوعي. وفقًا للمادية المطلقة، كما عرفت في كتاب العناصر الديناميكية، المادة والوعي لديهما نفس الخصائص، وكل شيء هو مظهر للآخر. المادية الفلسفية هي فلسفة قديمة وتمتلك وجوهًا متعددة. فلاسفة اليونان أقرّوا بوجود مادية متنوعة سُمِّيت بهيلوثايزم، حيث المادة والحياة متشابهان. وفقًا للهوليزويم وهي مذهب من الهيلوثايزم المادة كانت مُقدَّسة، أو أن وجود الله متنصل كجزء من المادة. المادية الكوسمولوجيكية تستخدم كمصطلح لتصوير التفسير المادي للكون.

(٤٥) ديالكتيك في الفلسفة الكلاسيكية هو الجدل أو المحاورة: تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعًا عن وجهة نظر معينة.

أقرأها؟!..يستمتع الفرد مثلًا عندما يقرأ ويفك طلاسمها، لكن هذا الذهن الشعبي الذي أسدى إلي الكثير من الخدمات في الطعام والشراب والمعيشة والملبس والمسكن والمواصلات ألا يكون لهذا الذهن واجب كبير جدًا في كسر المسافة بين فكرهم والفكر الآخر لا بد من ذلك.. ويجب أن يستفيد الناس بهذا الفكر وإلّا.. أنا أكتب بالعامية ولي خمسة عشر ديوانًا شعريًا استخرج لي من تلك

يعتبر الديالكتيك الأساس الذي تبني عليه الشيوعية بمعنى الجدل الذي يوصل إلى النظريات والقواعد التي تحكم الناس وتسير حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والمادية الديالكتيكية هي النظرة العالمية للحزب الماركسي اللينيني. تفسيرها للظواهر الطبيعية، فكرها عن هذه الظواهر، نظريتها مادية.

المادية التاريخية هي امتداد مبادئ المادية الديالكتيكية على دراسة الحياة الاجتماعية، تطبيق مبادئ المادية الديالكتيكية على ظواهر الحياة الاجتماعية وعلى دراسة المجتمع وتاريخه.

(٤٦) المثالية في الفلسفة: المذهب القائل بأن حقيقة الكون أفكار وصور عقلية، وأن العقل مصدر المعرفة، على عكس المادية. فأفلاطون مثالي بتصورد عالمًا عقليًا قوامه أفكار بمثابة النماذج للموجودات الجزئية المادية التي في عالمنا المحسوس، والعالم العقلي عنده هو الحق. أمّا العالم المحسوس فأشبه بالظلال. و باركلي مثالي بقوله إن حقيقة الشيء هي إدراك العقل له، وما لا يُدركه العقل عدم. و كانط مثالي حين جعل المقولات العقلية شرطًا للمعرفة. و هيجل مثالي حين قال إن حقيقة الكون روح مطلق يعبر عن نفسه في الوجود المشود.
فهي موقف فلسفي نظري وعملي يرد كل ظواهر الوجود إلى الفكر أو يجعل من الفكر منطلقًا لمعرفة الوجود أو الحقيقة مؤكّدًا على أسبقية المثال (بكل معانيه) على الواقع.



الدواوين لفظة ليست فصيحة.. كونها انحرفت أو تحرَّفت فهذا ليس ذنبي، هذا ذنب التاريخ الذي مرَّ على البشر..العرب. بالطبع هناك من استطاع أن يكتب بالفصحى ويُعبِّر عن عالم ثري، مع أن الكتابتين وجهان لعملة واحدة.

المهم في النهاية أن يكون شعرًا.

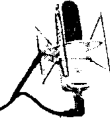
بالضبط، وتلك قضية أبعد..

نعم.

الأبعد من هذا أنه «لا لغة في الشعر»؛ لأن للشعر لغته أصلًا، وهذه اللغة ليست مفردات لغوية فصيحة أو عامّية فقط.. تحت هذا الطلاء اللغوي يوجد الشعر بلغة أخرى.. تلك اللغة كقشرة حبة جوز الهند.. والشعر اللُباب الذي بالداخل.. هذا شيء يتجاوز قضية الفصحى والعامية، لأننا نقرأه قصائد مترجمة لشعراء إنجليز وأسبان، ومن أميركا الجنوبية.. إلخ، فنحن لا ننظر هنا إلى لغته ولا بأي لغة كُتب، لكننا ننظر إلى كونه شعرًا أم لا.

لذلك أسأل الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي عن ثورة يوليو التي بدأ بها الشهادة وأثرها في نشر العاميّة وتغليبها كلغة تخاطب ولغة أدب ولغة شعر؛ ففي الثلاثينيات والأربعينيات في المحافل السياسية كان مشهورًا في الخطب المنبرية وسواء في ساحة القضاء، تحت قبة البرلمان، أن يُتحدَّث باللغة الفصحى وتوجد مأثورات أدبية رفيعة وعالية المستوى يُضرب بها المثل إلى الآن.. بعد ثورة يوليو أصبحت الخطب السياسية نفسها تُقال بالعامية.

بالطبع، أثير حول العاميات شكوك سياسية كثيرة ودينية أيضًا؛ لأنه بمجرد أن تختار الكتابة بلهجات عامية تعني أنك اخترت لغة غير لغة القرآن الكريم، هذا في حد ذاته يضع علامة استفهام. من يرددون هذا الرأى يستبعدون تمامًا إمكانية خدمة البشر بالأدب والفن.. حركة العامية كانت نتاجًا لفترات من الضعف الأدبي في عصور المماليك وغيرها، عندما حدث الاختلاط. حتى إن الشعر العربي كان هزيلًا في هذا الوقت؛ لأن العرب أساسًا لم يتولوا تقاليد الأمور فأصابهم الضعف..



الكل..

نعم.. ففي الأربعينيات بدأ الأستاذ لويس عوض الدعوة بشكل يُثير الريبة؛ عندما كتب «بلوتولاند»، كان الهدف منها هو العودة إلى الفرعونية، والتأكيد على المصرية واثير الانفصال عن جسد الأمة العربية وهذه معركة معروفة، قيلت فيها أقوال رسخت العداء للعامية أو زودت الريبة.

تجاه هذه الدعوة.

نعم، أضافت علامة استفهام ثالثة أيضًا.. صارت لأسباب دينية أو سياسية أو الانفصال من بدن الأمة العربية وهذه أخطر.. لكن في الوقت نفسه كان مأزق الوطنية والثورات الكبيرة.. إلخ فكان لا بد من خروج شاعر عامية يخاطب الناس كعبد الله النديم[٤٧] مثلًا..

---

(٤٧) عبد الله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني: (١٢٦١ هـ /١٨٤٢ - ١٣١٤ هـ/١٨٩٦) من أدباء مصر وشعرائها وزجاليها.

ولد في الإسكندرية عام (١٢٦١ هـ)، يتصل نسبه بالحسن السبط. شغل بعض الوظائف، وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الإسلامية، كتب مقالات كثيرة في جريدتي المحروسة،

في ثورة عرابي[٤٨].

(●) نعم؛ فعبد الله النديم في أثناء الثورة العرابية هو الذي عقد صلة حقيقية بين فكر عرابي وهدف الثورة وبين الجموع التي سارت جحافل وراءهم، ساروا بجهود أناس أدركوا بحسِّهم الوطني الخالص وبعلمهم الحقيقة نفسها.. كان الشيخ عبد الله

والعصر الجديد، ثم أصدر جريدة «التنكيت والتبكيت» مدة، واستعاض عنها بجريدة سمّاها «اللطائف»، أعلن بها جهاده الوطني، وحدثت في أيامه الثورة العرابية، فكان من كبار خطبائها، فطلبته حكومة مصر. استتر عشر سنين، ثم قُبض عليه سنة ١٣٠٩ هـ فحبس وأطلق على أن يخرج من مصر، فبرحها إلى فلسطين وأقام في يافا وسمح له بالعودة إلى بلاده فعاد واستوطن القاهرة، وأنشأ مجلة «الأستاذ» سنة ١٣١٠ هـ ونفاه الإنجليز ثانية؛ فخرج إلى يافا، ثم إلى الأستانة فاستخدم في ديوان المعارف مفتشًا للمطبوعات في الباب العالي. وله كتب منها: «الساق على الساق في مكايدة المشاق، وكان ويكون، والنحلة في الرحلة، والمترادفات». توفي بالأستانة عام (١٣١٤ هـ/١٨٩٦).

(٤٨) الثورة العرابية: هي الثورة التي قادها أحمد عرابي في فترة ١٨٧٩-١٨٨٢ ضد الخديوي و التأثير الأوربي، سمّيت آنذاك هوجة عرابي. واندلعت تلك الثورة إثر قرار طرد الضباط المصريين من الجيش المصري. عندما قدم عرابي على الخديوي وقدم له طلبات الأمة رد عليه الخديوي قائلًا: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا.

فرد عرابي عليه بمقولته المشهورة: لقد خلقنا الله أحرارًا، و لم يخلقنا تراثًا أو عقارًا؛ فوالله الذي لا إله إلا هو، لا نُورَّث، ولا نُستعبَد بعد اليوم. فاستجاب الخديوي لمطالب الأمة وشرع في تنفيذ مطالبها.

النديم رجلًا عالمًا وترجم الكثير من الآثار الأجنبية، يعمل بألف يد من أجل عقد التواصل بين الفكر وبين الناس، ولذا، فالثورة العرابية إذا لم تكن نجحت في جميع غاياتها النهائية، فقد نجحت في إيقاظ الوعي القومي، هذا ما لم تفعله أيّة حركة سابقة عليها.. واكتشف الناس أنه من الممكن أن يكون لهم دور في تحرير هذا الوطن.. هم الفقراء الحفاة العراة.. لأن بداخلهم طاقة لا تقف أمامها الدول الأجنبية.. وهم أيضًا الأب الشرعي لثورة ١٩١٩، وثورة ١٩٥٢.. إلخ، أعتقد أن احتفاءنا بعبد الله النديم لا يليق بالدور الذي قام به... هذا الشاعر الذي ظلت القوات والبوليس الإنجليزي والقصر يبحثون عنه وهو يختفي في بيوت الفلاحين الفقراء لمدة تسع سنوات ولم يفعلونها مع أي شاعر آخر.. تسع سنوات وشعبنا الخوّاف هذا ينقل عبد الله النديم من بيت لبيت ويخبّئه ويحميه..

ويتنصر من خوفه من السلطة.

● إيمانًا بدور هذا الرجل وردًّا للجميل الذي فعله بأن أذاب الفكر الذي كان غائبًا تمامًا وأعاده لأصحابه الحقيقيين، ومسح من أذهانهم فكر الطبقة الحاكمة وتلك مسألة مهمة؛ لأنه في كثير من الفترات تجد الفقراء مسلَّحين بفكر من أفقروهم ويقولون كلامًا رجعيًّا. فدائمًا يأتي هذا المخلص أو هذا الأديب أو هذا الشاعر النقي فيحل هذه المعادلة ويعيد تسليح الطبقات المستغَلَّة بفكرها مرة أخرى، يردّ لها وعيها الغائب. فيما بعد عندما زاد النضال ضد الملكية وضد قوات الاحتلال كان كل الشعراء يمدحون الخديوي والسلطان، في ظل تلك الظروف..كان بيرم التونسي مسكينًا؛ يُسجَن في أقذر السجون، ويلقى به على مركب ليُرمى في مرسيليا[٤٩] يحمل أجولة الفحم والملح على ظهره ويُعذَّب

---

(٤٩) مَرْسِيلِيَا: (بالفرنسية:مَرْسَايْ Marseille، وأصل الكلمة العربية إيطالي: مَرْسِيلْيَا Marsiglia، من القُسْطَانِيّة مَرْسَلْهَا Marselha) ثاني أكبر مدن فرنسا بعد العاصمة باريس، وثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان بعد مدينة باريس ومدينة ليون، تقع في جنوب فرنسا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي أهم ميناء بحري في فرنسا.

في المنافي ... هذا الرجل علامة من علاماتنا الشريفة التي طرحها الواقع، وربما لو كان شاعر فصحى هو الذي قام بهذا – عفوًا، وهو دور ليس من السهل أن يقوم به شاعر فصحى؛ لاختصاصه بالبشر الحفاة العراة - كنا فعلنا له التماثيل، كان من المفترض أن تمشي في ميدان التحرير(٥٠) فتجد تمثالًا لبيرم التونسي مثلًا. لا يوجد هذا.. فقط لأنه كتب بالعاميّة.. عبد الله النديم مثلًا لا أظن أن أحدًا يعرفه.. أعرفه أنا وأنت، لكنه لم يأخذ حقه في أن يترسخ في الضمير..

العام.

يبلغ عدد سكانها ٢٣١،٦،٢٠٦،٧ نسمة (إحصاءات ٢٠٠٧). وتتميز هذه المدينة عن بقية المدن الفرنسية بوجود نسبة كبيرة من العرب والمسلمين بها، وهم من أصل مغاربي خاصة من تونس والمغرب و الجزائر.

(٥٠) ميدان التحرير: أكبر ميادين مدينة القاهرة في مصر، سمي في بداية انشائه باسم ميدان الإسماعيلية، نسبة للخديوي إسماعيل، ثم تغير الاسم في الخمسينيات إلى اسمه الحالي «ميدان التحرير». يحاكي الميدان في تصميمه ميدان شارل ديغول، الذي يحوي قوس النصر في العاصمة الفرنسية باريس.

(●) التعليمي والتثقيفي بالشكل الذي يستحقّه.. عندما نعقد مؤتمرًا أو مهرجانًا لعبد الله النديم.. يظل محصورًا في دوائرنا ودوائر وزارة الثقافة.. لكن البقية لا يعرفون جدَّهم عبد الله النديم أو بيرم التونسي.. عندما ذهبت إلى تونس اكتشفت أنه له مسرحية كلاسيكية بالفصحى.. عمل كلاسيكى كبير.. له كتاب اسمه «مذكرات المنفى» بالفصحى أيضا.. ولو أن العامية لم تكن موجودة لاختفت أدوار عبد الله النديم و بيرم التونسي.. وهي أدوار مهمة جدًّا، في هذا الوقت كانت قصيدة بيرم التونسي تُنشر في الصفحة الأولى في «الأهرام».. ما كانت توجد تلك الحساسية الموجودة حاليًا، فكانوا يصدرون مجلّاتهم بأنفسهم؛ فالنديم أصدر «التنكيت والتبكيت» و«الأستاذ»، وأصدر بيرم «المسلة».. ترجع تلك التسمية إلى أنه كلما أنشأ مجلة تُصادر.. فكتب عليها «المسلّة.. لاجريدة ولا مجلّة».. حتى لا تُصادر، واخترع فكرة الدوريّات.. يصدر عددًا كل ثلاثة شهور.. أو في أزمة مختلة حتى لا تُصادر..

بالتأكيد بعد بيرم لن ننسى فؤاد حداد ثم صلاح جاهين ثم جيلك بعد ذلك.

فؤاد حداد.. ثورة جديدة على كل من سبقوه ممن وعوا بالعامية، فؤاد حداد.. شاعر مثقف بها تعنيه الكلمة، فهو قد درس التراث الإسلامي وهضمه، وهو رجل ثقافته فرنسية، ترجم لنا «أراجون وإلوار» باللغة العربية الفصحى منظومين.. ترجمة شاعر لشاعر بالشعر الفصيح.. وهو شاعر عامية، قضى في السجون أزمنة طوال، رغم أنه كان مؤيدًا لعبد الناصر.. فؤاد حداد نقل العامية من مرحلة الزجل لمرحلة الشعر بمعناه الحقيقي.

تلك هي النتيجة التي تقصدتها وهي أن الشعر له لغته..

هو بالفعل فن التكثيف.. الذي تقوله في بيت لا تقوله في عشرة أبيات.. فكان أستاذنا في هذا بلا مُنازع ولم يخرجْ من عباءته سوى صلاح جاهين؛ لبساطته.. فوصل للناس وأثّر أكثر مما أثر فؤاد حداد، ثم جئنا نحن في عالم الستينيات.

السخرية وتدني لغة الحياة اليومية:

لـو يـسمح لي الأسـتاذ الأبنـودي، في أثنـاء كلامـك في قمـة الجديّة تتكلّم بخفَّةِ روح وخفَّة دم شـهيرة، تلـك ظـاهرة في الـشعب المصري؛ لأن طبيعة المصريين خفَّة الروح منذ أقـدم العـصور؛ فبينما هم في قمة المعاناة يطلقون النكات، كما اختُصّ المصريون بالسخرية اللاذعة والتهكُّم الذي يصل أحيانًا إلى حدود جارحة..

الوعي شيء مؤلم.. مؤلم لحدّ السخرية.. مثلًا: لا تملـك إلا أن تضحك أمام اكتشافك لهول الأمر.. فالسخرية من مفارقات الواقع تحكيها أنت بالنكتة.. النكتة في الأصل مفارقة والواقع مليء بالمفارقات.

لكن أن يـصل الأمـر في الـسخرية إلى حـدود جارحـة، مثلما نرى أحيانًا في لغـة الحيـاة اليوميـة في الـشارع المـصري أو في ملاعـب الكرة، بالتأكيد هذه...

تلـك ليـست مـن الـسخرية.. إنـما هـي مـن الظـواهر الجديدة التي أدّى إليها غياب الوعي مثلها في ذلك كـالعنف.. هـي



إحدى صور العنف.. تأخذ هذا الشكل الجارح كما قلت، وهو نوع من ممارسة العنف وتعبير عن ضيق المفاهيم، أمور الإرهاب والعنف تلك.. ظاهرة جديدة على الواقع المصري كما قرأنا في التاريخ، وكما عشناه في الفترة الأولى من حياتنا، يعني ما نراه الآن هو نوع من الضلال.. ليس له حل.. الحركة الثقافية والفكرية محصورة وسط مجموعة معينة، ومعاركنا بداخلنا، هذا بعيد عن الدور التنويري المفترض ممارسته في الأمة، إلى جانب انغلاق الوحدات كالقرى، ذهبت إلى أبنود قريبًا فغضبت لما رأيت؛ فأبنود مَعْلَمي الأول، هى من علمني الإنسانية وهى من علمنى حب المسيحيين مثلًا.. هى من علمتني حب الشعر ووهبتنى الحياة، عندما ذهبت وجدت الناس منغلقين، فالقرية منغلقة على نفسها لدرجة أنها لم تستوعبني كزائر.. وفيها عنف مُختبئ؛ فهم مارسوا معي العنف في النقد، وهم من أرحم الناس وأصدقاء الطفولة، فكان النقد بخصوص «لا تليفونات شغّالة ولا المخبز اللى عاملينه دا يساوي.. مأكّل تلت البلد، ولا الجامع.. الميضة بتاعته إيه.. حتى

مطالبهم ليست حياتية.. كنت أقول لقولهم: كلّما آتي .. الجامع» وعندنا في أبنود ما يُقارب خمسة عشر مسجدًا ونحن قرية صغيرة.. ليس من المعقول أن يظل الأمر هكذا ولا ينظر أحد للفقراء، فلم يقل أحد مثلًا: نُشيِّد مشغلًا للبنات اليتامى.. كانوا قساة معي جدًّا.. ردًّا وعنفًا.. ليست أبنود نفسها.. الواقع وغياب النور الحقيقي للفكر الموظَّف في حياة الناس أدّى إلى هذا.. مثالًا على ذلك: قلة الأدب التي تسمعها والشتائم في الشوارع والذي يصطدم بكتفك وأنت تسير على الرصيف - المنعدم في الأصل- وما يوجد في ملاعب كرة القدم وما دخل فيها من «اللبط» والرشى.

يعني زمان كنا نتعجب، ها أنا وأنت نكتب أغاني، لا يمكن أن نتخيل أن مطربا ياخد مشجعين معه ضد مطرب آخر، اليوم في ملاعب كرة القدم ناس ضد ناس ومصالح في الإدارات متصارعة من خلال الجماهير.. كل هذه الظواهر غير أصيلة في الشعب المصري، ومع أول ومضة نور حقيقية ستختفي. وقد يكون ما



حدث مع الرئيس في أديس أبابا[٥١] بيّن لك -بغض النظر عن الشكل الذي أخذته هذه الاحتفالات- إنما ثمة شيء حقيقي أفزع الناس وجعل كل التناقضات تمحى في لحظة واحدة ويتوحد الشعب المصري في إحساس وشعور واحد حول رئيسه.. فدائما تسير الأمور هكذا كما في الحرب والأمور القومية المهمة. كل التفاصيل الكاذبة المدفوع ثمنها والمصطنعة بالرشى والإتاوات والعنف والإرهاب تتغير مشروع قومى نلتف حوله وننزل به للناس.

دور المثقفين الوطنيين ومشكلة مصر والسودان :

توظيف طاقة البشر

- أنا مثلًا أستطيع أن أتكلّم مع الفلاحين.. هم يعلمونني جيدًا ولي من الحب في قلوبهم الكثير والكثير.. ضعني في واقع

---

(٥١) هي محاولة اغتيال فاشلة، حدثت في أديس أبابا، أكبر مدينة في إثيوبيا والعاصمة لها، كانت تستهدف الرئيس المصري محمد حسني مبارك خلال زيارة له فيها، لم يعلم عن حقيقة وطبيعة الجهة المسؤولة لتنفيذ الحادث، لكن هناك من الأقاويل من يردد أنها كانت مخططة من فعل الجماعات المتطرفة.

مشروع قومي لهذه الأمة أستطيع حقًا أن أطوّع الفلاحين لذلك. في إحدى المرات أجرت «الأهرام» حديثًا مع الطيب صالح[٥٢] بشأن المشكلات بين الشمال والجنوب، بين مصر والسودان.. فقال لهم: أرسلوا لنا شخصًا كعبد الرحمن الأبنودي ليحلّ المشكلات الموجودة بين مصر والسودان؛ لأن الشعب السوداني يثق فيه ويرى أنه شاعرٌ سودانيٌّ ضلّ طريقه للقاهرة... فلا تدع الأحزاب المعارضة يلعبون هذا الدور وتعزلنا.. الأمور لا تؤخذ بالصوت العالي. لو أنني قلت الآن كلمة في قضية تناقضنا مع السودان سأبدو غريبًا؛ لوجود الإجماع على وجهة نظر واحدة، وأنا لا أعتقد أننا سنحارب السودان مثلًا.. لا أعتقد أن مثل هذه الشرذمة التي تحكم هناك ستجعلنا في النهاية نقاتل أبناء عمومتنا.. أبناء وادي

---

(٥٢) الطيب صالح: أديب سوداني وأحد أشهر الأدباء العرب أطلق عليه النقاد لقب «عبقري الرواية العربية». عاش في بريطانيا وقطر وفرنسا. ولد عام (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩م) في إقليم مروي شمالي السودان بقرية كَرْمَكوْل بالقرب من قرية دبة الفقراء وهي إحدى قرى قبيلة الركابية التي ينتسب إليها، وتوفي في أحدي مستشفيات العاصمة البريطانية لندن التي أقام فيها في ليلة الأربعاء ١٨ شباط/فبراير ٢٠٠٩ الموافق ٢٣ صفر ١٤٣٠ هـ.



النيل وما يوجد بيننا من عمق استراتيجي وديني وقومي.. إلخ، فمصر والسودان أكبر دولتين مهمتين في أفريقيا إسلاميًا.. أيضًا لا أكلمك عن النيل ولا واديه ولا مصادر المياه، أنا أكلمك عن الإسلام الذي تدافع عنه في الأساس.. هما أكبر دولتين إسلاميتين فلو تناحرا وهذا بالطبع هدف استعماري.

بالطبع هدف استعماري.

بل وكبير جدًّا وقديمٌ جدًّا.. هذا يعني أن الدين الإسلامي في قارة أفريقيا يكون في مأزق شديد.. وهو أحد الأعمدة الحقيقية التي وطدت الأمة العربية والأمة الإسلامية بشكلٍ عام.. لا بد للأمور أن تكون من دون اعوجاج ويكون الحوار مفتوحًا على الأمة. عندما لأريد الحوار السليم حاليًا فأي باب أطرُقُ لهذا... الصحف القومية تقول كذا.. وهناك صحف المعارضة تُهاجم ما يُقال ونحن في الوسط.. نحن القوى الفكريّة الحقيقية العادلة في وسط هذا الكلام.. «لا إحنا بتوع خليج ولا

إحنا بتوع إسرائيل ولا إحنا بتوع الاستعمار ولا إحنا بنتآمر على الوطن ولا نبغى إلا يعنى رفعة هذا الوطن وسموه».

النيل في شعر الأبنودي

عظيم، على ذكر النيل الذي ذكرته الآن ونحن دائمًا نذكره، فالنيل موجود في شعرك ونستطيع أن نقول: إن النيل يجري عبر أبياتك الشعريّة الجميلة.. فما شهادتك على النيل الآن؟

في أبسط الأقوال، «النيل أبانا وأرض مصر هي أمّنا»؛ لأنني أعتبر النيل كائنًا بشريًّا.

كائنًا بشريًّا!

نعم، بالفعل هو رجل من الممكن التحاور معه، وقد تحاور معي ..

مثلما حدث مع القدماء المصريين كحابي[٥٣] مثلًا.

---

(٥٣) حابي: إله النيل عند الفراعنة المصريين القدماء. ومعناه السعيد أو جالب السعادة. تذكر كثير من الكتب الموثوق بها أن النيل إله يُدعى حعبى، غير أنه للنيل الجغرافي اسم آخر النهر «أترو» ولو راعينا الدقة أكثر فإن النهر العظيم أترو ــــ عا (ومنها ظهرت كلمة ترعة). هو الاسم الذي أطلق على المجرى الجنوبي العظيم.



- نعم، فأول من أدرك سرّ هذا النيل وعظمته ووعى به واحتواه هم أجدادنا، و هم الذين اكتشفوا لنا تلك النقطة وأعطوه هذه القداسة.. لا يزال النيل يتمتع بهذه القداسة عند المصريين حتى الآن، ليست قداسة دينية لكنها في شكل المحرمات... أنا لا أكلمك عن النيل الحالي، إنما أقصد النيل الذي عاصرته وهو في عنفوان شبابه ولا أحدثك عن هذا الرجل المسن السائر السائر وراء شيراتون أو أمام مثل هذه الفنادق حاليًا، هو الآن غريبٌ، ضائعٌ، حزينٌ، هزيلٌ من لم يرَ النيل في شبابه فما رآه أصلًا، قبل بناء السد العالي(٥٤) لأننا كبحنا جماحه ببناء السد.. وكانت هذه ضرورة من ضروريات حياتنا المستقبلية؛ فكان لا بد من التحكم في مياه النيل ولولا ذلك لمتنا عطشًا أو غرقًا خلال السنوات التي مرت.

---

(٥٤) سد أسوان العالي أو السدّ العالي: هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر، أُنشئ في عهد جمال عبد الناصر وساعد السوفييت في بنائه ساعد كثيرا في التحكم في تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل. يستخدم لتوليد الكهرباء في مصر. طول السد ٣٦٠٠ متر، عرض القاعدة ٩٨٠ مترا، عرض القمة ٤٠ مترا، والارتفاع ١١١ مترا. حجم جسم السد ٤٣ مليون متر مكعب من إسمنت وحديد ومواد أخرى، ويمكن أن يمر خلال السد تدفق مائي يصل إلى ١١،٠٠٠ متر مكعب.

عطشًا أو غرقًا!!

نعم، عطشًا أو غرقًا؛ لأن النيل كان يأتي أحيانًا نادرًا جدًا.. فما يقارب من سبع سنوات وهو يأتي كالسبع العجاف في قصة سيدنا يوسف(٥٥) عليه السلام ، كانت أيدينا دائمًا على قلوبنا لولا هذا السد، وفي الوقت نفسه من الممكن أن يأتي عارمًا ممتلئًا رهيبًا كما رأينا مثلًا فعلته في السودان مؤخرًا؛ حيث أغرق الخرطوم(٥٦) وأم درمان(٥٧) وهدَّم الكثير والكثير، فعندما كان يأتي عارمًا.. تخرج له

---

(٥٥) يوسف – عليه السلام- نبي من أنبياء الله، يعتبر من أهم الشخصيات في سفر التكوين من العهد القديم/كتاب التوراة. يوسف هو الابن الحادي عشر ليعقوب والابن الأول لراحيل. ونزلت سورة قرآنية باسمه.

أعطاه الله مقدرة في تفسير الأحلام. ألقاه إخوانهُ في الجُب لغيرتهم منه ولكن في النهاية عمل يوسف لدى بوتيفار عزيز مصر، وبعدها تحرر من أسره وأصبح الوزير لملك مصر.

(٥٦) الخرطوم: هي عاصمة السودان، تقع عند نقطة التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق. ويوجد بالمدينة مطار دولي يسمى مطار الخرطوم الدولي. تأسست الخرطوم على يد الشيخ أرباب العقائد في عام 1691م عندما خرج إليها من جزيرة توتي ==عند ملتقى النيلين وقطع أشجارها – حيث إنها كانت غابة – وأسس فيها خلوة لتعليم القرآن الكريم. ومن هنا أخذت اسمها لأنها الامتداد لجزيرة توتي. وقد كانت تعرف إلى أواسط القرن العشرين بـ (خرطوم توتي).

(٥٧) أم درمان: هي مدينة في السودان، تقع على طول نهر النيل قبالة العاصمة الخرطوم، وإن كانت غالبًا ما تعتبر ضاحية فقيرة في الخرطوم، فأم درمان بلغ عدد سكانها

القرى ونحن أطفال في السادسة والسابعة نجري بين أرجل الناس «الحَقْ اتفلت عن العجامية».. فنجري متوجهين إلى العجامية، من يملك «سباتة من البوص» يأخذها معه، ترى من يحمل «مقطفًا» أو «فأسًا» ومن لا يملك شيئًا تجده أول الناس.. فمصر مهددة كحالة الحرب، ذكرني ذلك بالجندي سيد زكريا(٥٨) الذي اكتشفناه قريبًا وكيف فعل تلك البطولات في الإسرائيليين وأباد فصيلة مظليين بشهادة من قتله.. الأمر سيان؛ الذي يملك الأرض أو الذي لا

٢,٩٧٠,٠٩٩ نسمة (٢٠٠٦)، وهي أكبر مدينة في البلاد، وأهم مركز تجاري بها. جنبًا مع الخرطوم وخرطوم بحري يشكلون ٧,٨٣٠,٤٧٩ نسمة (٢٠٠٦).

(٥٨) سيد زكريا خليل: جندي شجاع من صعيد مصر، أحد شهداء حرب أكتوبر ١٩٧٣، استطاع وحده إيقاف كتيبة كاملة من الجيش الإسرائيلي بعد استشهاد بقية فصيلته في حرب ١٩٧٣.

كان في عداد المفقودين في حرب أكتوبر ٧٣، ظلت تلك الأمور في طي الكتمان طوال ٢٣ سنة، حتى اعترف بها جندي إسرائيلي شارك في الحرب، وذلك في حفل للدبلوماسيين شمل العديد من سفراء البلاد بما فيهم السفير الإسرائيلي، وقدّم متعلقاته التي احتفظ بها طوال هذه الفترة إلى السفيرة المصرية في ذلك الوقت، ونقلت وكالات الأنباء العالمية قصة هذا الشهيد وأطلقت عليه لقب (أسد سيناء).

وقد كرَّمته مصر بعد اكتشاف قصته، وتم منحه نوط الشجاعة من الطبقة الأولي، كما أطلق اسمه على أحد شوارع حي مصر الجديدة.

يملك، من يملك بيتًا ومن لا يملك، من يملك قرشًا في جيبه ومن لايملك مجرد الطعام.. الكل يجري ويهرول.. وكانت الجسور تتحطم بفعل قوة الفيضان وتدفق ماء النهر.. أقسم لك بالله العظيم، تلك الليالي لا يمكن رؤيتها في السينما العالمية ولا غير العالمية.. لا يعرف النيل حقًا إلا من رآه في هذه الأيام.. والناس تجري والنساء تصرخ وتشجع كمعارك العرب القديمة...

ومن أعلى البيوت يحفِّزن الرجال.. كنا نرى الثعابين والعقارب تخرج من شقوق الأراضي الجدباء وقتما تغمر بمياه النيل التي طال انتظارها فكنا نتآلف مع هذه الأشياء إلى الآن عندما تحضر لي الكوبرا فلا أخاف منها لأنني...

رأيتها من قبل وتعاملت معها..

(●) نشأت وسط الآلاف منها ولدغنا وتداوينا. لقد أنقذنا النيل وزوّد مساحة الأرض الزراعية وأمدّنا بالكهرباء... إلخ.



كتبت ديوانًا كاملًا عن السد العالي وهو «جوابات حراجي القط» وحتى الآن فأنا أحد المقاتلين من أجله وضد كل من يهاجمه، لكن في الوقت نفسه جزء ما من هزيمة النيل قد تسرّب إلينا..

إلينا نحن كبشر؟

نحن نرى الآن حال هذا النيل الأخضر ولا تعرف هل تسير مياهه أم لا؟!.. المليئ بالأمراض وبالجراثيم.

التلوث.

والتلوث والعفن.. شيء لا يليق بأعظم أنهار الدنيا..حقًا، أعظم أنهار الدنيا ليس لأنه أضخمها ولا أطولها؛ بل لأنه خلق حضارات على ضفافه فعلها بيده، فكيف يُستذلّ ويُهان بهذه الطريقة التي نراها هكذا، ومع غياب هذا العنفوان تضخم الأمر. أنت لا ترى الآن هذا العنفوان أو بعضًا منه إلا في المياه المتدفقة من السد العالي، نازلة على التوربينات كي تولِّد الكهرباء.. ترى قوة هذه المياه لكنك تراها صافية.. لا تراها بطَمْيها المخصب.. وحدث الكثير من تغير النفسية المصرية في الأجيال

الحديثة؛ لغياب هذا العنفوان الجميل المزدهر، التي كانت تحمله روح النيل المصري القديم.

المقاهـــي الأدبية

حدثتنا عن مقهى «إيزافيتش» ومقهى «ريش»، وما فعلاه في فكر وأدب جيل الخمسينيات والستينيات.. ذكّرني حديثك بالمقاهي الأدبية التي كانت مقاهي عامة، يجلس فيها «الحكواتي» قديمًا وشاعر الربابة(٥٩) ليحكيا حكاية عنترة(٦٠) والسيرة الهلالية(٦١)

---

(٥٩) الرَّبَابَة: آلة موسيقية مصرية قديمة ذات وتر واحد، أول من أوجدها قدماء المصريين.. فهي من التراث المصري، وأكثر من يستعملها الشعراء المدّاحون خصوصًا في صعيد مصر. و تُصنَع الرَّبابة من الأدوات البسيطة المتوفِّرة لدى أبناء البادية كخشب الأشجار وجلد الماعز أو الغزال وسبيب الفرس.

(٦٠) عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي: (٢٢ ق.هـ/٥٢٥ م) هو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

(٦١) السيرة الهلالية: هي واحدة من السير الشعبية العربية، وهي عبارة عن ملحمة طويلة تغطي مرحلة تاريخية كبيرة في حياة بني هلال المعروفة بهجرة بني هلال، وتبدأ جذورها في سيرة الزير سالم جد الهلالية. ثم تمتد لتشمل تغريبة بني هلال وخروجهم إلى تونس. هي السيرة الأقرب إلى ذاكرة الناس، والأكثر رسوخًا في الذاكرة الجمعية. وتبلغ نحو مليون بيت

وسيرة الأميرة ذات الهمّة[٦٢] وكل تلك الأشياء الجميلة، وقد تحدث الباحثون عن بعض شعراء الربابة الذين حكوا أحيانًا السيرة الهلالية بالعربية وبالجورجية[٦٣] واليونانية[٦٤].. نعلم إنك قمت

شعر. وإن أضفى عليها الخيال الشعبي ثوبًا فضفاضًا باعد بين الأحداث وبين واقعها، وبالغ في رسم الشخصيات.

(٦٢) سيرة الأميرة ذات الهمة: لون من البطولة النسوية، بلغت فيها المرأة مكانة يطمح إليها الرجال، فقدم الراوي الشعبي فيها صفات المثالية والواقع والخيال، بشجاعة خارقة، إذ تحكي السيرة الظروف المأساوية، التي تحيط بميلاد البطلة ذات الهمة، من طفولة بائسة بعيدة عن الأهل، فلا الأم ترعاها ولا الأب يقربها ويراها، فتتداخل الأحداث حتى إنها تستطيع في مرحلة لاحقة أن تقود القوات وتُهاجم أهل أبيها وتأسر ذويها، حتى تكشف لها جاريتها أن والدها من بين الأسرى، وتؤكد لها أنها ابنته ومن ظهره، فتعيده إلى قبيلته وتتزوج ابن عمها لتنجب طفلًا أسود يرفض الاعتراف به، فيعيش مأساة ميلادها من جديد، وعندما تشعر بفداحة مصيبتها تبثه آلامها «ياابني سبحان من خلقك ومن صورك وعلى هذا المراد كونك، ومن أجل هذه الفتنة ندعوه أن يصبّرك».

وتدخل ذات الهمة في صراع عنيف مع زوجها لتثبت نسب ولدها، وهي تنشئه نشأة الأبطال، ويظل الراوي الشعبي يقدم قصص معارك هذه الأم، التي يعلق النقاد المعاصرون على سيرتها أنها أمومة كانت استمرارًا للصراع، وليست امتدادًا للضعف، فبسبب الأمومة تدخل معركة إثبات النسب، وهي أشد ضراوة من معارك الحرب في مجتمع يجعل من عفة المرأة أمرًا يصل إلى حد التقديس، حتى إنها تعتقد خطأً أن ابنها قتل في إحدى المعارك فتصرخ «ياعين جودي على فقده وبدمع عزيز كمثل البحار»؛ لكنها تواصل القتال بعزيمة تثبت فيها أصالة سيرة الأم في الوجدان الشعبي.

(٦٣) لغة الجورجية: هي اللغة الرسمية في جورجيا، جمهورية في القوقاز، هي اللغة الرئيسية لما يقارب ٣,٩ مليون شخص في جورجيا (٨٣٪ من سكان جورجيا)، وتقريبًا ٢٠٠ ألف

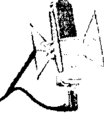
ببحث دؤوب وأصدرتَ السيرة الهلالية؛ جمعتها أولًا، ثم أصدرتها في خمسة أجزاء وهذا جهد رهيب، نريد التعرف على ما وصلت إليه والدافع لذلك..

(●) أولًا، بخصوص قضية المقاهي.. كنت قد تكلّمت مع بعض الأصدقاء الشّبان وقلت لهم إنني مُنقطع عن صلتي بالأجيال الحديثة من الشعراء.. وأن بيتًا لا يستوعبهم ولا بد من مقهى كإيزافيتش أو ريش أو مقهى الجيزة الذي كان يجلس عليه زكريا الحجاوي[٦٥] والسعدني[٦٦]...أو إنديانا الموجودة في ميدان

آخر خارج جورجيا (خاصة تركيا، إيران، روسيا، الولايات المتحدة، وأوروبا). هي اللغة الثقافية لكل سكان جورجيا، خاصة الذين يتحدثون لغات القوقاز الجنوبية الأخرى (أو اللغات الكارتفلية): السفانيين، الماجرليين واللاز. الجروزينية أو الكفرولية، تعتبر لغة يهودية أخرى، متحدثة بـ ٢٠ ألف شخص في جورجيا، و ٦٠ ألف في إسرائيل.

(٦٤) اليونانية: من اللغات الهندوأوربية يتكلمها بين ١٥-٢٢ مليون شخص، هي اللغة المعاصرة المستعملة في كل من اليونان وقبرص وأيضا من جانب الأقليات والمهاجرين في العديد من البلدان الأخرى. وهي لغة قديمة، فتاريخها الموثق يعود لأكثر من ٣٥٠٠ سنة.تتكون الأبجدية اليونانية الحديثة من ٢٤ حرفًا.

(٦٥) زكريا الحجاوي: (ولد في ٤ يونيو ١٩١٥ في المطرية بالدقهلية - ومات في ٧ ديسمبر ١٩٧٥ في دولة قطر)، هو أحد رواد الفن الشعبي المصري، أبرز إنجازاته تقديم التراث الشعبي المصري عبر وسائل الإعلام الحديثة كالصحافة والإذاعة والتلفزيون.



الدقي[٦٧] الذي كان يجلس عليها رجاء النقاش[٦٨] ومعه أنور المعداوي[٦٩] وعبدالقادر القط[٧٠] والتي عرفنا فيها الناس.

---

(٦٦) محمود السعدني: (٢٨ فبراير ١٩٢٨ - ٤ مايو ٢٠١٠) صحفي وكاتب مصري ساخر يعد من روّاد الكتابة الساخرة في الصحافة العربية، شارك في تحرير وتأسيس عدد كبير من الصحف والمجلّات العربية في مصر وخارجها، ترأس تحرير مجلة صباح الخير المصرية في الستينيات، كما شارك في الحياة السياسية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وسُجن في عهد أنور السادات بعد إدانته بتهمة الاشتراك في محاولة انقلابية.=

=أصدر وترأس تحرير مجلة ٢٣ يوليو في منفاه في لندن، عاد إلى مصر من منفاه الاختياري سنة ١٩٨٢ بعد اغتيال السادات واستقبله الرئيس مبارك، كانت له علاقات بعدد من الحكام العرب مثل معمر القذافي وصدام حسين، اعتزل العمل الصحفي والحياة العامة سنة ٢٠٠٦ بسبب المرض.

(٦٧) الدقي: أحد أحياء الجيزة، وهو بمنطقة سكنية وتجارية حيوية وتمر به طرق رئيسية تربط بين شطري مدينة القاهرة الكبرى في محافظتي القاهرة والجيزة. كانت الدقي قرية من قرى ريف الجيزة مثل معظم أنحاء تلك المحافظة، حتى دخلت الحيّز الحضري سنة ١٩٦٤، ولقربها من مدينة القاهرة أصبحت متنفسًا للأثرياء في ذلك الوقت يمتلكون فيها القصور والمزارع كما سكنها بعضهم سكنا مستديما. حاليا يعد حي الدقي من أرقى أحياء الجيزة.

(٦٨) محمد رجاء عبد المؤمن النقاش: (ولد في محافظة الدقهلية في ٣ سبتمبر ١٩٣٤ وتوفي في القاهرة في ٨ فبراير ٢٠٠٨)، ناقد أدبي وصحفي مصري. تخرج في جامعة القاهرة قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ وعمل بعدها محررًا في مجلة روز اليوسف المصرية بين عامي ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦١ ثم محررًا أدبيًا في جريدة أخبار اليوم وجريدة الأخبار في الفترة من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٤، كما كان رئيسًا لتحرير =عدد من المجلّات المعروفة منها مجلة الكواكب ومجلة الهلال، كما تولّى منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة مجلة الإذاعة والتلفزيون.

(٦٩) أنور المعداوي: ناقد مصري ولد في ٣ مايو ١٩٢٠م في قرية صغيرة تقع في شمال شرق الدلتا فكان أنور الولد الوحيد الشقيق لثلاث بنات، وتدل رسائله وأوراقه على أنه تلقى الدراسة الثانوية بالمدرسة الخديوية ثم واصل تعليمه الجامعي بقسم اللغة العربية في كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا). حيث حصل منها على ليسانس الآداب عام ١٩٤٥م ثم عمل بوزارة المعارف. وعلى صفحات مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات تألّق الأستاذ أنور المعداوي وخاصة بين عامي ١٩٤٨ – ١٩٥٢م وتميزت كتاباته بالجرأة والصراحة والعمق. كان يكتب في الأربعينات والخمسينات زاوية أسبوعية في مجلة الرسالة التي يصدرها الزيات بعنوان (تعقيبات). ارتبط بعلاقات عاطفية مع عدد من المثقفات والفنانات في عصره مثل الشاعرة المصرية ناهد طه عبد البر والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان. له رسائل موجهة لفدوى طوقان في الفترة من ١٩٥١ – ١٩٥٤ جمعها وعلّق عليها الناقد المصري رجاء النقاش في كتاب (صفحات مجهولة في الادب العربي). وفي عام ١٩٥٢م بدأت رحلة الأستاذ أنور المعداوي مع الأمراض الجسدية والنفسية، لقد تألق سريعًا وانطفأ نجمه بنفس السرعة التي تألّق بها، واستمر المعداوي يعاني الأزمات وخاصة مرض ارتفاع ضغط الدم الخبيث حتى توفي عام ١٩٦٥م.

(٧٠) د. عبد القادر القط: ولد عام ١٩١٦ بمحافظة الدقهلية، وتخرج في كلية الآداب عام ١٩٣٨ بعدها عمل موظفًا بمكتبة جامعة القاهرة حتى عام ١٩٤٥، وأُوفد إلى جامعة لندن في بعثة دراسية للحصول على الدكتوراه بعدها وحصل عليها عام ١٩٥٠ ليبدأ رحلة جديدة في مسار حياته كناقد وأحد مؤسسي كلية الأداب في جامعة عين شمس عام ١٩٥١. وفي الفترة من ١٩٦٢ وحتى ١٩٧٣ ترأس د. القط قسم اللغة العربية، وانتخب عميدًا للكلية في عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤، بعدها ترك جامعة عين شمس ليعمل رئيسا لقسم اللغة العربية في آداب جامعة بيروت العربية منذ عام ١٩٧٥ وحتى ١٩٨٢. وكان للدكتور الراحل عبد القادر القط دور كبير في الحياة الثقافية المصرية، وتبلورت في رئاسته اربع مجلات إبداعية ما بين أعوام ١٩٦٤ وحتى ١٩٩٢، كان آخرها رئاسته لمجلة «إبداع» التي ساهم عندما كان رئيسًا لتحريرها في تقديم عدد من الأصوات الإبداعية الشابة، وإتاحة الفرصة لنشر التجارب الجديدة بخاصة أمام شعراء السبعينيات.



وقهوة المسيري مثلًا في دمنهور[٧١].

والمسيري في دمنهور وما أخرجته لنا من أدباء ومفكرين.. ظللنا نبحث لمدة ستة أشهر عن مقهى بلا تلفزيون وبلا راديو.. هذا مستحيل.. ومن أجل هذا أُنشأ المقهى الثقافي في وزارة الثقافة كنوع من الإحساس بالأزمة؛ لأنه لم تعد توجد المقاهي الثقافية، وأرى أنهم لم ينجحوا جيدًا في هذا؛ لوجود الإدارات والحب وعدم الحب فأُدْخِلك أو لا أُدْخلك.. إنما المقهى في الأصل للجميع، لو لم يرحب بك رجاء النقاش ولا عبدالقادر

وقد كان د. القط قبل رحيله عضوًا بالمجلس الأعلى للثقافة ومقررًا للجنة الشعرية ونال في عام ١٩٨٠ جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عن كتابه «الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر» ونال جائزة الدولة التقديرية في عام ١٩٨٤، وحصد أخيرًا جائزة مبارك في الأدب حاصلًا على ٢١ صوتًا من مجموع أصوات اللجنة (٢٤ صوتًا)، وهو ما يدل على تقدير كبير من أعضاء المجلس لدوره في خدمة الإبداع والثقافة المصرية.

(٧١) دمنهور: مدينة تقع غرب دلتا النيل شمال مصر، تعد أول مدينة صُكَّت بها العملة، وهي عاصمة محافظة البحيرة. مدينة دمنهور أقدم تجمع حضاري في العالم وهي من أعرق محافظات مصر، وهي تقع في غرب الدلتا ويحدها شمالًا البحر الأبيض المتوسط وشرقًا فرع رشيد وغربًا محافظتي الإسكندرية ومطروح وجنوبًا محافظة الجيزة وتبلغ مساحة المحافظة ٩٨٢٦ كم٢ ويبلغ إجمالي السكّان لعام ٢٠٠١ ٤،٣٤ مليون نسمة.

القط مثلًا.. ففي جيبك «قرشان» ثمن كوب الشاي، كان مِلكًا للجميع.. ونفتقد أيضًا شاعر الربابة في المقاهي القديمة وما يرويه من السير التاريخية والأدبية المهمة جدًّا لتاريخ العرب.. بالضبط كافتقادنا للنيل؛ شيء من رجولة النيل قد كُسر، هنا المسألة نفسها.أيام طفولتي كنت أشهد «مولد سيدى عبد الرحيم القنائى» في الخمسة عشر يومًا الأولى من شهر شعبان، ثم ننتقل في الخمسة عشر يومًا الباقية من الشهر نفسه لـ«سيدى أبو الحجاج يوسف»(٧٢)

(٧٢) هو السيد يوسف عبد الرحيم بن يوسف بن عيسي الزاهد بن محي الدين بن منصور بن عبد الرحمن الملقب بشيخه بن سليمان بن منصور بن ابراهيم بن راضون بن ناصر الدين بن إبراهيم بن أحمد بن عيسي الشهير، صاحب الكرامات والمكاشفات ابن نجم بن تقي الدين بن عبد الله بن الدين الدلي بن عبد الخالق بن نجم الدين بن عبد الله أبي الطيب عبد الخالق بن أحمد بن إسماعيل أبي الفراء الشهير بن عبد الله بن سيدي جعفر الصادق بن سيدي محمد الباقر بن الإمام الأعظم سيدي علي زين العابدين بن الإمام الأكبر سيدي أبي عبد الله الحسين بن الإمام المكرّم والخليفة الأعظم سيدي علي بن أبي طالب وأمّه سيدتنا فاطمة الزهراء.

ولد في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري – علي الراجح – في مدينة «بغداد» حاضرة الخلافة العباسية في عهد الخلفية المقتفي بأمر الله العباسي وقد نشأ في أسرة علي قدر كبير من الورع والتقوي تحت رعاية والده السيد عبد الرحيم بن يوسف الذي كان يشغل منصبًا رئاسيًا في الدولة العبّاسية.=

=وكانت فترة نشأته فترة خصبة في الفكر الصوفي فأعدّه والده ليكون واحدًا من رجال الدين وعلماؤه في بغداد – فحفظ القرآن الكريم في سن مبكّره ثم نال قسطًا وافرًا من الثقافة الدينية ولكن لم يلبث هذا الوالد أن توفّاه الله وأبو الحجاج صغير، فوجد نفسه مسؤولًا عن تكاليف الحياه فاشتغل في صناعة غزل الصوف وحياكته، وكان له حانوت مشهور في بغداد وقد درّت عليه هذه الصناعة رزقًا وفيرًا وتزوّج صغيرًا وأنجب أيضًا صغيرًا وكان بجانب عمله في هذه الصناعة يتردد علي حلقات الوعظ و الدروس التي كان يعقدها شيوخ التصوف والعلماء في بغداد وظل كذلك ينهل في مناهل الثقافة الإسلامية حتي أخذ بنصيب وافر في مختلف العلوم، ثم دخل المدرسة النظامية في بغداد وتفقّه في مذهب الإمام الشافعي علي يد الشيخ الصالح صدر العارفين وعين المحقّقين أبو النجيب السهروردي وتأثّر بقراءاته لهذه الكتب تأثيرًا تامًّا، وقد انعكس صدي هذا التأثر علي ما تركه من أقوال في علوم الطريق وآراء في التربية والسلوك، كما قرأ الأدب أيضًا في مختلف فنونه وكان ذوّاقًا للشّعر.
اتجه أبو الحجاج و أولاده والمرافقين إلي مصر ودخلها عن طريق شرق الدلتا حيث نزل بالمنصورة ثم تنقّل مارًّا إلي مختلف مدن مصر وفي أثناء ذلك يري في منامه رؤي وهواتف تأمره بالرحيل إلي مدينة تسمي «الأقصر» في صعيد مصر.

اتّجه أبو الحجاج بناء علي هذه الرؤى المنامية والهواتف إلي الأقصر، فاستقبله فيها أهلها بالترحاب البالغ وهم يتوقون في فهم بالغ إلي داعية ومرشد يشدّ من أزرهم ويقوّي عزائمهم ويعينهم علي نصرة دين الحق في هذه المدينة، فلما رأوا أبا الحجاج فيه قوة الشخصية ولمسو فيه علمه العزيز وتقواه وخشوعه لله -تعالي- وجدوا= ضالتهم المنشودة فأنست نفوسهم إليه وتفتّحت قلوبهم له، فالتفوا حوله وبالغوا في إكرامه.

وكانت بالمدينة راهبة تُدعي «طوزة» (طيريزة) الطماحة القبطية وكانت أميرة قومها ورئيسة ديرها وتقيم في موقع جانب من معبد الأقصر فأدهش الراهبة أسلوبُ الشيخ في الزهد والتصوّف وملأ نفسها احترامًا له وتقديرًا ،التقى أبو الحجاج بالراهبة يناقشها في أمور الدين والدنيا فأسلمت وتحوّلت إلي داعية إسلامية.

أبو الحجاج الأقصري:

في الأقصر..، كان لدينا ما يُسمى بـ«بورة الضبعة» وهي بمعنى صحراء كبيرة.. الـ«بورة» تعني: حفرة، والـ«ضبعة» تعني: سكن الضباع قديمًا، فنرى شعراء الربابة يأتون فيُنصب لكل واحد منهم خيمة من البوص ويضعون له دكّة(٧٣) وتُحضَّر القهوة لجميع الحاضرين، فتجلس وتتناول كوبًا من الشاي بتعريفة(٧٤) وتسمع

وبدا نجم أبو الحجاج يعلو في مدينة الأقصر وأخذ الناس من مختلف المدن والقري يتشوّقون إليه فاتجهوا إلى هذه المدينة وأقاموا فيها ليحظوا بقرب هذا الشيخ العالم الجليل ويستفيدون من واسع علمه، وعقد الشيخ حلقات الوعظ والدروس ليُفقّه الناس في الدين الإسلامي الحنيف وبدأ أتباعه ومريدوه يتكاثرون يومًا بعد يوم حتي عُدّوا بالآلاف . فتغير وجه المدينة وأشرقت بنور ربها إسلاميّة ثم نُسبت إلي أبي الحجاج ونُسب إليها فكان أول من نسبت إليه ونسب إليها من علماء المسلمين.

(٧٣) الدكّة: هي بناء من الحجر أو الطابوق أو الخشب العادي، توضع خارج البيت وملاصقة له، مُعدَّة للجلوس واستقبال الضيوف وخصوصًا الجيران. تُكسى الدكّة عادة بالقماش أو تُصفُ عليها وسائد للراحة أثناء الجلوس. كان بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مكة مزوَّدًا بدكّة كان يجلس عليها أحيانًا غير المجلس الداخلي.
تنتشر الدكّة في مختلف أرجاء الدول العربية وتستخدم عادة للزيارات الخفيفة التي لا تستوجب ضيافة كثيرة وغالبًا للقاء الأهل والجيران والأصدقاء ويستخدم المجلس للزيارات الرسمية.

(٧٤) التعريفة: عملة مصرية فترة الستينيات، وهي من أصغر القيمات المتعامل بها آنذاك.



عمك جابر أبوحسين[٧٥] والحاج سيد الضوي[٧٦] حتى الصباح، وشعراء أتوا من طنطا ومن دسوق.. ومن دمنهور ومن المنيا ومن بني سويف.. كرنفال رهيب جدًّا.. عكاظ[٧٧] الحقيقي وتدورُ على

---

(٧٥) عم جابر أبو حسين: (٣ نوفمبر ١٩١٣ - ١٩٩٢) أشهر شاعر للسيرة الهلالية في العالم العربي. كان يحفظ نحو مليون بيت شعر من القصيدة. كان يقدم نصف ساعة يوميًّا من السيرة الهلالية في إذاعة «برنامج الشعب» المصرية بتقديم من الشاعر عبد الرحمن الأبنودي. سجَّل الباحث الأمريكي جون رينولدز، من جامعة برنستون، عدة مئات من الساعات من أدائه للسيرة.=

=ولد في قرية آبار الوقف، مركز أخميم بمحافظة سوهاج.وأقام على فترات بقرية الكوم الأصفر (بلد محمدين محمود- فارس الهله الأول) لدى عائلة المعاتيق وعمل هناك العديد من الحفلات وهو من كبار مؤلفي السيرة الهلالية وكان لديه زوجتان.

أسلوب شعراء الصعيد في تقديم الملحمة هو المربع. فبعد أن تبدأ المقدمة بقصائد مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - والزهد في الدنيا وطلب المغفرة من الله، يبدأ القصص في السيرة ذاتها بالمربع. والمربع بيتان من الشعر يتكونان من أربع شطور مستقلة ومتصلة في ذات الوقت. تتشابه قافيتا الشطر الأول والثالث من جانب، والثاني والرابع من جانب آخر.)

(٧٦) الحاج سيد الضوي: هو أحد الرواة التقليديين القلائل لسيرة أبي زيد الهلالي في العالم العربي.

(٧٧) سوق عكاظ: كانت عكاظ قديمًا معرضًا تجاريًا ومنتدًى اجتماعيًا حافلًا بكل أنواع النشاط، وكانت منبرًا يبلغ الحاضرُ الغائب بما أُعلن فيها، وما عُقد من معاهدات بين القبائل، وتُذاع أسماء من يُخلعون من قبائلهم فتسقط بذلك حقوق الواحد منهم على قبيلته فلا تحمل له جريرة. وكان بعض الأشراف يتقنَّعون في السوق كي لا يُعرفوا، فلا يُنال منهم عدو لهم، أو يأسرهم طامع، ثم يُغالي بطلب فديتهم .وكانت سوق عكاظ مجالًا لإطلاق الألقاب والأوصاف على الأفراد والقبائل، كما كانت الأحداث التي تجري فيها مصدرًا للأمثال.

هؤلاء الشعراء سبعة أيام حتى تستقر عند أهم شاعر فيهم، تجلس عند رجليه وتسمعه.. وظللت هكذا حتى كبرت.. ودائمًا كنت أقول: إن السدّ العالي بتغييره من ري الحياض(٧٨) للرّي الدائم سيقضي على أدوات كثيرة جدًّا من أدوات العمل، وبالتالي سيقضي على الغناء المصاحب لهذه الأدوات؛ فالشادوف(٧٩) مثلًا له من الغناء

وكانت تُرفع في= =السوق رايات الحزن إذا نُكبت قبيلة، كما فعلت قريش بعد موقعة بدر. وتُقام فيها مباريات الفروسية والسباق وغيرها. كانت عكاظ مشهورة بالشعراء وإلقاء الشعر على أذن الحاضرين في أغلبية الأوقات ويتبارى الشعراء في ذلك كثيرًا.

(٧٨) ري الحياض: هو نظام ينطوي على تقسيم الأراضي إلى حياض الذي هو عبارة عن إقامة حواجز طينية. وتنساب المياه من القنوات إلى الأحواض. وتحمل كل قناة الماء إلى نحو ثمانية من الحياض؛ الواحد تلو الآخر. وبهذه الطريقة، يزيد نصاب الأراضي الأقرب إلى شاطئ النهر على تلك الأراضي التي هي أبعد.

(٧٩) الشادوف: هو آلة لرفع المياه للري الزراعي، اخترع في بلاد الرافدين قديمًا حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد. وما زال مستخدمًا في الكثير من مناطق إفريقيا وآسيا.

يتكون الشادوف من إطار رأسي مُعلّق فيه عمود أفقي. نقطة تعليق العمود تكون عند خمسه تقريبًا. في طرف الجزء الأطول يعلق وعاء للماء (دلو أو كيس من الجلد أو سلّة مطلية بمادة عازلة) بينما في طرف الجزء الأقصر يُعلّق ثِقَلٌ ليكون بمثابة قوة موازنة للرافعة. يتزن الثقل مع الوعاء نصف مملوء، من ثم يتطلب إنزال الوعاء فارغًا بعض المجهود، ولكن أيضًا نفس المجهود مطلوب لرفع الوعاء مملوءًا. أي أن الثقل الموازن يتحمل رفع نصف الوعاء بينما يتحمل الشخص المشغّل النصف الآخر، باستمرار حركة الرفع والأرجحة -غير المجهدة

كـ«عيبٍ عليَّ إن قلت أنا يا دراعي.. دا كُتر الهموم بتكتر اللاوجاع» و «ادعي على أبويا يموت غريقِ اللى جعل وسط البحور طريقي».. والساقية(٨٠) أيضًا لها من الغناء نصيب كـ «دا اسمه الهوب ليه؟ علشان.. هوب.. بشِدّ.. ودا اسمه اللوب ليه؟» لأنه لولبية شوف يعني... والنورج(٨١) أيضًا، الجمل الذي يخرج للسباخ(٨٢) من الجبال

تقريبًا- تستخدم الأوعية غيرالمنفذة للماء لرفع المياه من الجسم المائي (نهر أو بركة) إلى مجاري وأحواض الري.

تقديريًا، يمكن للشادوف أن يرفع أكثر من ٢٥٠٠ لتر يوميًا. وقد يصل فارق الارتفاع إلى ثلاثة أمتار. عند الارتفاعات الأعلى يكون من الأجدى استخدام الساقية أو مضخة سواء كانت مضخة يدوية أو كهربية.

(٨٠) الساقية: هي آلة تستخدم في الري ، من أبرز الآثار التي ورثت من العهود النوبية القديمة، وظلّت الساقية مَعلمًا بارزًا ، وتُمثّل الوسيلة الزراعية الوحيدة في كثير من مناطق السودان، كما بقيت معروفة في جميع البلاد التي عاش فيها النوبيون على طول حوض النيل، وظلّت الساقية الآلة الرافعة للمياه في مساحة واسعة من وادي النيل، من صعيد مصر حتى المناطق الوسطى من السودان، تتناقل صناعتها الأجيال، محتفظة بهيكلها وأجزائها القديمة وبأسمائها النوبية حتى عهد قريب.

(٨١) النورج: من الآلات الزراعية القديمة، الذى كان يستعمل فى مصر لفصل القمح عن القش، عبارة عن بعض الدوائر الحديدية التي تشبه التروس، مثبتة من أعلى بألواح خشبية فتشبه العربة الصغيرة، تجرها الحمير أو البغال أو المواشي والأبقار.

له غناء.. أيقنت أن كل ذلك سيختفي فكنت حريصًا على جمعه وتدوينه.

الأبنودي وعبد الحليم حافظ

لابد من جمعه.

كنت وقتها فقيرًا. كنت وعبدالحليم حافظ -يرحمه الله- على علاقة من الصداقة وطيدة وكان نِعم الصديق والأخ.. سوف أكتب عن عبدالحليم قريبًا لأن كل المكتوب عنه عند إطلاعي عليه اتضح لي أنه كتب عن رجل غير الذي عرفته.

ألهذا الحد؟!

حقيقة إن ما قرأته عن عبد الحليم لا يمُتُ إليه بصلة، فمعرفتي بعبد الحليم جيدة، لأنني كتبت لعبد الحليم حافظ إحدى وعشرين أغنية منهم ثلاث أغنيات عاطفيات فقط والباقي كله

---

(٨٢) السباخ: هو عبارة عن مواد عضوية ناتجة من تحلل بعض العناصر في البيئة كروث الماشية أو مخلفات الأراضي وغير ذلك، بفعل أنواع من الديدان والبكتيريا. يستخدم السباخ كسماد طبيعي للأراضي مما يعمل على زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية وجودتها.

وطنيّ، عبدالحليم كان روحًا للفترة التي عاشها فلا بد من قول مثل هذا الكلام.

بالفعل سننتظر ما ستكتبه عنه بكل شوق.

نعم، بالطبع لا بد لعبدالحليم أن يُرى بشكل أفضل، ففي فترة من الفترات كان عبدالحليم مسافرًا ليغني في ثورة اليمن(٨٣)، فقال لي: «يا عبدالرحمن مش عاوز حاجة»، فقلت له: «واللهِ أقولك يا عبدالحليم إن أنا عمري ما طلبت من حد حاجة لكن أنا بحاجة لجهاز تسجيل قوي يتحمل العمل لمدة طويلة جدًّا»..

---

(٨٣) ثورة اليمن: بدأت بانقلاب عسكري في اليمن يوم ٢٦ مايو ١٩٦٢ على يد العميد عبدالله السلال الذى أطاح بنظام الإمامة، بعد ذلك بيومين، سارع جمال عبدالناصر بالاعتراف بالنظام الجديد وفى اليوم التالي أصدرت مصر بيانًا حذرت فيه القوى الأجنبية من التدخل ضد نظام الحكم الجديد.=

=السلال طلب من مصر أن تساعده عسكريًا وسياسيًا فقرر عبدالناصر التدخل المباشر لمساندته وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ أرسلت مصر كتائب صاعقة وسرب طائرات معادلة لقذف القنابل والصواريخ، لكن مصر فقدت الكثير في تلك الحرب من قتلى وجرحى ومشوّهين.

قال: «ليه يا عبدالرحمن». قلت له: «كانوا بيحكوا كده حاجة اسمها السيرة الهلالية كده في الصعيد.. فعايز أروح يعني قبل ما تنقرض يعني على شوية غنا علي..»، كنا في الوقت نفسه بدأنا في حركة الغناء الشعبي الفلكلوري؛ «التوبة» و «على حسب وداد قلبي».. فشجعه هذا، وأحضر لي جهاز تسجيل قوي بالفعل، تحمَّل العمل معي جيدًا، ومعه نحو خمسة عشر شريطًا كبيرًا..بحيث أسجل «فور تراكس».. بمعنى أنه يمكنني أن أسجل على الشريط سعة ساعتين.. ثماني ساعات. وبدأت أول رحلاتي بعد خروجي من الاعتقال في عام ١٩٦٦. قبل النكسة[٨٤] ذهبت إلى البحر الأحمر

---

(٨٤) نكسة ١٩٦٧: أو حرب حزيران أو حرب الأيام الستة، هي حرب حدثت عام ١٩٦٧ بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن وبمساعدة لوجستية من لبنان والعراق والجزائر والسعودية والكويت، انتهت بإنتصار إسرائيل واستيلائها على قطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان.

تعدّ حرب ١٩٦٧ الحرب الثالثة ضمن سلسلة الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب في ما سمي بالصراع العربي الإسرائيلي وقد انتهت باستيلاء إسرائيل على كامل دولة فلسطين، هذه المنطقة الجغرافية التي كانت السلطة القائمة عليها ما بين عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٤٨ تدعى حكومة فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتدعو الأرض القائمة عليها فلسطين. ومعظم أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى أقلية من اليهود. وكان

وبدأت أسجل أولًا، ومن بعد بدأت أنزل في نواحي أبنود لآخذ ما هو تحت يدي قبلما يضيع، فأرسلوا لي بأن البلد ستدخل الحرب، كان كل من أحمد سعيد[٨٥] و وجدى الحكيم[٨٦] يردد: «البلد

نفوذ هذه السلطة يمتد على جميع الأراضي التي يدعوها اليهود اليوم إسرائيل ويعرفها العرب كفلسطين ويطلقون عليها اسم فلسطين المحتلة. وهذه الأرض كانت جزءًا من بلاد الشام لأكثر من أربعة عشر قرنًا.

تسمى هذه الحرب (بالإنجليزية: Six Days War) وتترجمها المصادر الإسرائيلية وبعض المصادر العربية غير الرسمية والأجنبية الناطقة بالعربية كـ (حرب الأيام الستة) بالعربية، بينما تشيع تسميتها الشعبية بالعربية (النكسة).

(٨٥) أحمد سعيد: إعلامي عربي معروف، تولّى إذاعة صوت العرب في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي .. مقرب من الرئيس عبد الناصر، اشتهر بإصداره بيانات بأن العرب منتصرون وهم في الحقيقة يتلقون الهزائم من إسرائيل، ووجه له الكثير من اللوم والسِّباب لفعلته تلك، على الجانب الآخر عذره الكثير لما فعل لأسباب تستوجب بعضًا مما قال في فترة كتلك.

(٨٦) وجدي الحكيم: ولد بعد افتتاح الإذاعة بـ١٣ يومًا - كما يقول عن نفسه - في ملوي، التابعة لمحافظة المنيا، كان والده مدرسًا، التحق بالكلية الحربية،ظل بها ٤٠ يومًا فقط، لكنه لم يكمل، فالتحق بعد ذلك بكلية الشرطة، و لم يستمر بها أيضًا.

بعد ذلك التحق بكلية الحقوق، ثم تحوّل إلى كلية الآداب قسم الاجتماع، وقابل أصدقاءه من الفنانين، فهو لذلك يعتبر نفسه من القلائل المحظوظين في الإعلام المصري؛ لأنه الوحيد الذي يملك كنوزًا وثروةً فنيةً فريدة؛ فقد كان يسجل حوارات مع محمد عبد الوهاب، في كل مكان يسافر فيه.

هتدخل حرب وإنت قاعد عندكم بتعمل إيه.. اطلع فورًا تعالى»، حتى إنني كتبت الأغاني في القطار..ك«اضرب».. و«أحلف بسماها وبترابها» و«ابنك يقولك يا بطل هات لي نهار» و«يا بركان الغضب».. كل هذا كتبته في القطار .

في القطار !!

من أبنود حتى القاهرة.. عندما وصلت وجدت كمال الطويل(٨٧) تحت بيتي، فهو يقول لك كان عبدالحليم دائمًا يقول:

وعن سرِّ تسميته بوجدي الحكيم، قال الحكيم: عبد الوهاب هو الذي اقترح عليَّ اسم وجدي الحكيم، واسمي الحقيقي محمد وجدي حسن حسن الحكيم، فاختار لي اسمي، وقال لي إن فيه موسيقى وسيشتهر بسرعة.

(٨٧) كمال الطويل: (١٩٣٢ - ٩ يوليو ٢٠٠٣) هو ملحن ومؤلف موسيقي مصري راحل، كان من أقرب أصدقاء العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ والملحن محمد الموجي. ولد في طنطا إلا أنه كان متعلمًا وكان من أسرة وفدية كبيرة، اسمه كاملًا هو كمال محمود زكي الطويل وكان والده محمود زكي بك الطويل وبعد دراسته الثانوية سافر إلى القاهرة ليدخل في طريق الفن. عمل مع الكثير من الفنانين كأم كلثوم وعبد الحليم والمخرج يوسف شاهين وفايزة أحمد وليلى مراد... وغيرهم.



«من أراد الذهاب للأبنودي يدخل له عبر ترسانة اسمها شارع مصطفى أبوهيف في باب اللوق»[88].

فكما أن الحكومة تتجسَّس عليّ.. في هذا الوقت فالناس في الشارع الذي هو أشبه بالحارة يتجسسون لي على الحكومة أيضًا؛ «خلي بالك المخبر دا قاعد»... إلخ

ناضورجية.

نعم، ناضورجية .. فأخذني كمال الطويل بتراب الصعيد لحظة وصولي لعمل هذه الأغاني. وبعد الانتهاء من ٦٧ وآلامها، نزلت الصعيد مرة أخرى فظللت أجمع في السيرة الهلالية ٢٢ سنة.

(٨٨) باب اللوق: حيّ في القاهره عرف قديمًا بخط الإسماعيلية نسبة للخديوي إسماعيل. في بدايات العصر المملوكي كانت أرضًا زراعيّة. ظلت أرضًا زراعية يغمرها الفيضان حتى سنة ١٢٦١ إلى أن بنى فيها الظاهر بيبرس بيوتًا للمغول الوافدين، ثم تحوّلت لأرض زراعية مرة ثانية حتى سنة ١٨٥٨ إلى أن بنى فيها الخديوي إسماعيل المباني و البيوت و القصور فظهرت فيها الشوارع والميادين.

كل هذا الزمن!!

● نعم، تطاردني وأطاردها، كلّما ادّخرت وتوفر عندي مائتي أو ثلاث مائة جنيه آخذهم وآخذ أجهزتي الثقيلة نازلًا في كل أجزاء الصعيد.

تُسجِّل لشعراء الربابة..

● نعم، أُسجِّل للشعراء وللهواة وللجمهور.. ودخلت المدارس أيضًا؛ لأن السيرة الهلالية بكل بصراحة مثل الندَّاهة؛ «تنده» عليك وتأخذك من عالمك فتلغي كل ما عداها. لهذا تشاجر معي عبدالحليم وكل الناس الذين ارتبطت بهم في القاهرة وكانوا يقولون: ماذا يعني «خَدِته الندَّاهة»؟.. وأخذت أجمع وأجمع وأفرِّغ وأطبع.. أي إنها احتلتني احتلالًا كاملًا وأكرمني الله بشعرائها (آخر حبَّة في عقد الشعراء العظام للربابة)؛ منهم العم جابر أبوحسين.. ظللنا نُسجِّل ثلاث سنوات في السيرة الهلالية.. أذهب

له ثلاثة أشهر في أخميم[٨٩] في سوهاج، ونستريح ثلاثة أشهر.. ويأتيني بيتي ثلاثة أشهر.. لمدة ثلاث سنوات، وبمجرد أن انتهى منها وسافر، بعد أسبوع قالوا لي: «البقاء لله».. يرحمه الله ..، قبل ذلك كان الشعراء يموتون فيدفن معهم تراثهم؛ فما كانت أجهزة التسجيل موجودة، وما تنبّهت الدنيا للسيرة الهلالية. وإذا كان لي فضل في هذا وسعيد بنفسي فيرجع ذلك لأنني أيقظت هذه الملحمة فدخلتْ في المسرح وصارت في حلقات الدراسة واهتُم بها اهتمامًا كبيرًا جدًّا..

---

(٨٩) مركز ومدينة أخميم بمحافظة سوهاج بمصر. من حيث عدد السكان تعتبر إحدى المدن الكبرى. تتميز بالنشاط التجاري الواسع تقع على الشاطئ الشرقي للنيل . توجد بها آثار مدينة بانوبوليس الإغريقية القديمة . اشتهرت في العصر المسيحي بأديرها الكثيرة . كانت في العصر العربي الأول عاصمة منطقة منفصلة عرفت منذ الفتح العربي بكورة أخميم أي المدينة الرئيسية التي يتبعها أخريات و كان يحدها شمالًا كورة قهقوة (طهطا) و جنوبًا كورة (قوص) . يُنسب اليها المتصوف المصري الشهير (ذو النون) . تشتهر اليوم بصناعة السكر والنسيج وهي من المواقع السياحية الهامة في مصر.



أعتقد أن الأستاذ الأبنودي متفقٌ تمامًا مع رائد دراسة الأدب الشعبي الدكتور عبدالحميد يونس[٩٠] في أن هذه السيرة الهلالية هي التي تمثل الشعب العربي أصدق تمثيل؛ تمثل إحساسه بالبطولة ورموزه القومية.

---

(٩٠) الدكتور عبدالحميد يونس: أستاذ الفولكلور والأدب الشعبي، وُلد في ٤ فبراير ١٩١٠، القاهرة.

المؤهلات العلمية:

- ليسانس الآداب، قسم اللغة العربية من جامعة القاهرة، ١٩٤٠.
- الماجستير فى الآداب، ١٩٤٦.
- الدكتوراة فى الآداب، ١٩٥٠ .

يعود الفضل إليه فى تأسيس مركز دراسات الفنون الشعبية الذى يقوم بالعمل الميدانى والتسجيلى والتصنيف والدراسة، أول من دعا وأنشأ مجلة الفنون الشعبية ورأس تحريرها.

كان عضوا فى وفد مصر فى مؤتمر الأدباء العرب بالكويت، ١٩٥٨، مثل مصر فى المجلس العالمى للمكفوفين فى هانوفر بألمانيا الغربية. انتخبه أعضاء المنظمة العربية للعلوم والثقافة رئيسا لحلقتها الدراسية المنعقدة بالجامعة العربية لمناقشة العناصر المشتركة فى المأثورات الشعبية وتنسيق وتوحيد الجهود لدراستها فى أكتوبر ١٩٧١.

من إنتاجه الأدبي في مجال التأليف:

- الأزهر، بالاشتراك مع الأستاذ عثمان توفيق، القاهرة، ١٩٤٦، الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، مطبوعات جامعة القاهرة، ١٩٥٤، الأسس الفنية للنقد الأدبى، القاهرة، ١٩٥٨، الظاهر بيبرس، القاهرة، ١٩٥٩.



- الدكتور عبدالحميد يونس نوع مختلف تمامًا عن الباحثين في الأدب الشعبي ممن عرفتهم الأمة المصرية، أنا أدين بالمودة والتقدير لشخصين هما؛ عبدالحميد يونس وأحمد رشدي صالح(٩١)، وأثق فيهما وفي كل ما صنعاه. وأعتقد أنهم أناس على

---

(٩١) أحمد رشدي صالح: كاتب وصحفي ومؤرخ وناقد ومذيع ورائد دراسات الأدب الشعبي، رائع الأسلوب، يستقي مادته غالبًا من البيئة المعاشة وأحوال الناس.

أول مؤلفاته كتاب «مسألة قناة السويس» ثم توالت مؤلفاته بعد ذلك و من أهمها: مشكلة السودان – كرومر في مصر – الاستعمار البريطاني – فلسطين – رجل في القاهرة – الزوجة الثانية – رجل يشتري الحب – علم الفلكلور – سيدة الفندق – أسد البحار – مسرحية «رجل فلاح» – الأدب الشعبي وهو الكتاب الذي وضع الأساس لدراسة الأدب الشعبي في مصر.=

=له في الشعر المنثور ثلاثية الحب: (غدًا ألقاك – غدا أنساك – هل رأيتم حبيبي). عرف باتجاهه اليساري في أغلب ما كتب ونشر. نال جائزة في الأدب الشعبي من جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٧، عمل مدرِّسًا للغة الإنجليزية عقب تخرّجه في عام ١٩٤١، و ظل يعمل بالتدريس لمدة سنتين، وفي عام ١٩٤٣ عمل مذيعًا بالإذاعة المصرية. انتقل للعمل بالصحافة حيث أصبح مسؤولًا عن رئاسة تحرير مجلة "الفجر الجديد" عام ١٩٤٦، ثم رئيسًا لقسم الأخبار و الترجمة بجريدة "صوت الأمة"، و في عام ١٩٥٤ انتقل إلى جريدة الجمهورية رئيسًا للقسم الأدبي فيها ، وفي عام ١٩٥٧عُيّن مديرًا لمركز الفنون الشعبية وعضوًا للجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للآداب، كما عُين مشرفًا على مسارح الفنون الشعبية و الفرق الاستعراضية عام ١٩٦٤. انتخب عضوًا عن الشرق العربي في لجنة الفلكلور الدولية التابعة لليونسكو عام ١٩٦٧، أصبح عضوًا بمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم عام ١٩٧١، ثم رئيسًا لتحرير مجلة «آخر ساعة» عام١٩٧٥، توفي في ١٩٨٠/٧/١٢.

مستوى المسؤولية؛ فالدكتور عبدالحميد يونس كان رجلًا كفيفًا وكنت دائمًا أسأله كيف تأتى لك أن تعرف كل ذلك مقارنة بما عانيته في البحث والترحال في الواقع، فكان دائمًا يقول لي: «ياواد يا عبد الرحمن خليك مؤدب، لأني أنا لم يتح لي ما أتيح لك كمُبصر في أن يعني.. تنزل إلى أعمق أعماق الواقع، فإذا اكتشفت لي أخطاء فلتكن مؤدبًا».. وأقسم أنني لم أكتشف عليه خطأ طوال الخمسة والعشرين عامًا التي قضيتها معه.. ودائمًا كان يدهشني بمعرفته وأسأل من أين عرف ذلك؟!!.. من أين تأتى له ذلك لأنني شخصيًا عانيت في جمعها من مصر والسودان..

السودان وتونس



(●) وأيضًا عندي سيرة من على حدود تشاد[٩٢] ونيجيريا[٩٣].

كنت أتعجب وأتساءل كيف عرف كل هذه المعارف وهذا حاله؟!!.. وعندما دخلت كلية الآداب وكنت في سن كبيرة، قال لي: ما الذي جاء بك يا عبدالرحمن؟ قلت له: أتيت بخصوص السيرة الهلالية.. قال لي: لكنني لن امتحنك -كان امتحان التمهيدي للماجستير-، وقال: مع من ستعمل؟ قلت له: مع الدكتور عبد العزيز الأهواني، قال لي: ونِعْمَ الرجل الذي اخترت، لكني أريد أن أسألك سؤالًا لا أعرف إجابته.. قلت له: لا؛ لأنني اكتشفت أنه لا يوجد شيء لا تعرفه. فقال: والله لا أعرفه حقًا..

---

(٩٢) جمهورية تشاد: بلد في وسط أفريقيا تقع في منطقة الصحراء الكبرى، تجاورها ست دول ولا تطل على منفذ بحري خارجي سوى بحيرة تشاد. تحدّها من الشمال ليبيا، ومن الشرق السودان، وفي الجنوب جمهورية أفريقيا الوسطى، والكاميرون ونيجيريا في الجنوب الشرقي، والنيجر في الغرب. في الشمال تقع جبال تيبستي، أكبر سلسلة جبلية في الصحراء. تشاد كانت في السابق جزءًا من أفريقيا الاستوائية الفرنسية.

(٩٣) نيجيريا: بلد في غرب أفريقيا. أكبر الدول في أفريقيا من حيث تعداد السكان، تبلغ ١٥٤ مليون نسمة. من موارد البلد: النفط الخام. وكاسافا، وهي الوسط الأكثر لشركات تلفون. العملة النيجيريّة هي النايرا. العاصمة هي أبوجا منذ عام ١٩٩١ وكانت الحكومة النيجيرية فيما سبق تتركز في لاجوس. الاسم الرسمي للبلاد هو جمهورية نيجيريا الإتحادية.

لماذا السيرة في الغرب هي سيرة ذياب ابن غانم(٩٤) وليست سيرة أبوزيد الهلالي(٩٥).. فأجبته وقلت له بمحبة غامرة: لأن القبائل التي هاجرت في البداية من حمر اليمن قبل الإسلام بخمسة قرون

---

(٩٤) ذياب بن غنام الهلالي: من قبيلة هلال، عاش بالقرن السابع الهجري، والمعروف عن هذه القبيلة أن معظم أبنائها شعراء لدرجة أن بعض الرواة يؤكد أنهم جميعا يقرضون الشعر.
أما ذياب بن غانم فالمعروف عنه أنه فارسٌ صنْديد لا يُشقُّ له غبار، وهو الذي قتل الزناتي خليفة بعد أن بارزه وتم للقبيلة بعدها دخول تونس ...
لم يكن ذياب بن غانم يقلُّ عن أبي زيد شجاعة وإقدامًا وحكمة، إلّا أن الرواة يتعاطفون مع أبي زيد أكثرَ من تعاطفهم مع ذياب؛ لذا فقد أغفلت جوانب كثيرة من حياته وذلك راجع لموقفه من أبي زيد بطل السيرة الهلالية حينما خدعه ذياب وقتله بالحيلة.
عاش ذياب بعد أبي زيد فترة ليست بالقصيرة إلى حدٍّ ما، حتى أخذ ولد أبي زيد (مخيمر) الثأر منه حينما ظفر به هو وأخوته لأمه، فكان الأربعة يتسابقون لقتله ومخيمر بآخرهم، فلما عُرف أنهم سوف يقتلون ذياب قبله ضربه بالرمح وهو خلفهم فأصابت منه مقتلًا فمات...
عُرِفَ عن ذياب بن غانم بالإضافة إلى فروسيته وشجاعته المنقطعة النظير حيلته الواسعة، لكن يؤخذ عليه أنه أناني لا يؤثر أحدًا على نفسه وهذا ما سبب له المتاعب في حياته وحرمه من الوصول إلى المجد الذي كان يحلم به.

(٩٥) أبو زيد الهلالي: بطل أشهر الملاحم الشعبية العربية المعروفة بسيرة بني هلال، وقد صوّرت الملحمة وقائع العرب في الفترة من منتصف القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري إبان عصر الدولة الفاطمية. وعلى الرغم من شهرته لم يكن أبو زيد الهلالي محور هذه الملحمة وإنما هو واحد من أربعة انتهت إليهم الرئاسة في القبيلة وهم:
حسن بن سرحان المعروف بـ (أبي علي) الملقب بالسلطان، ذياب بن غانم، القاضي بدير بن فايد، أبو زيد بن رزق الهلالي.

وذياب ابن غانم الزغبي يمني، الذي أتى ليحارب خليفة هما أبوزيد وذياب، فعندما تجاهلوا «أبوزيد» تجاهلوا الجزيرة العربية.. وعندما يُمتدَح ذياب فهو ابن عمهم وابن خالهم.. مسألة تستلزم وجود سيرة ذياب؛ فما يحدث القول بأن الهلاليين ما أتوا وما انتصروا.. الأفضل أنهم أتوا وانتصروا ولكن بذياب ابن عمهم...

السيرة الهلالية وتجسيد العروبة الحقيقية

المهم أن الملحمة الهلالية كلّها تجسيد لبطلٍ مُفتقد، تسير وراءه الأمة، تُحمِّله كل أهدافها وطموحاتها وتُأتمِّنه على مستقبلها.. فوجدتْ ذلك في «أبوزيد الهلالي» واختارته أسودَ واختارته من عامّة الناس لتجعل منه بطلًا، هذا من جانب، الجانب الثاني: فكرة العروبة النقية المفتقدة موجودة في السيرة الهلالية ومُجسّدة أيضًا، وتُجسّد الانتماء العربي كما صوَّره الإسلام والثقافة الإسلامية.

- في صورته النقية.

- من المؤكد أن لنا جدودًا أكثر رُقيًّا من الذين نراهم حاليًا.

بالضبط عندما نقارن أنفسنا بالفراعنة، تتبين لنا اختلافات عدة.

نعم.. فهناك أشياء هي وعاءٌ لكل القيم المفتقدة من حولنا أو من حول الإنسان الفقير هي: الإخلاص، الانتماء، الرجولة والصداقة.

نعم.. الشَّهامة.

نعم، الشهامة بمعناها العربي، المرأة، الحب، الزواج، الاستشهاد.. كل هذا قد فقد معناه في عصرنا الحديث، إلى جانب هذا فنحن أمّيّون؛ جمهور السيرة الهلالية أمّيٌّ.. فيأتي الشاعر الأمّيّ ومعه مادته من السيرة لكنه يفتقد كيف يُشكّل اللغة بحيث يبدو وكأنه مثقف، وبحيث تبدو اللغة عالمًا جميلًا من الفن، فعلاقة الجميع بهذا الشاعر كعلاقتهم بشيخ المسجد أو بالأرض أو بالنيل مثلًا. فقد كان شيئًا ضروريًا من ضروريات التثقيف الشعبيّ المُحتاج إليه آنذاك.

ألم يفكر الأستاذ الأبنودي في عمل السيرة الهلالية في شكل ملحمي مُعاصر حديث، مركز، مختصر، كما حدث قبل ذلك مثلًا في بعض الملاحم الحديثة؟

كان هدفي كله..

جمع الأصل.

نعم، ألحق به؛ لأن جابر أبو حسين قد مات، والموجودون حاليًا من تلاميذ حفّاظ السيرة ليسوا على تلك الدرجة؛ فمنهم من يحفظ مثلا حتى التغريبة أو الأيتام فقط.. إنما السيرة كبدن كُلّيّ فقد مات آخر رجال العلم بها.. فكان لا بد من أن أجمع كل الروايات الموجودة في مصر ومعظم الناس الذين سجلوا لمن مات. في بعض الأحيان كان الرجل يموت في اليوم نفسه الذي أسجّل له فيه؛ فكنّا مثلًا في يوم من الأيام نسجّل مع رجل يعمل صيادًا للسّمك في البحر الأحمر وكان يصطاد بالديناميت، فسجلنا واتفقنا أن نكمل التسجل بعد ما يرجع من الصيد، لكن الديناميت لم يدعه يرجع ليكمل لنا التسجيل.

مات!!

هناك أيضًا مفارقات عجيبة، هذه الرحلة خلال فترة الجمع أعادت لي علاقتي بالواقع المصري بشكل كبير.. فكانت فرصة في هذا الوقت أن أتجوّل وأدخل البيوت والجحور والجبال لأن معظم رواة السير من الحلب أو الغجر[٩٦] فلا يعيشون في قلب المجتمعات.. حتى يقول لك «دنيا ما دايماشي هملتناع الحواشي».

أي على الأطراف...

نعم، أطراف القرى والمدن فما كانوا يعيشون في داخل مجتمعنا.. كانت معيشتهم في جحور في الجبال، فكان لا بد أن أذهب هناك.. فكانت الرحلة شيّقة وممتعة؛ لحرصي على أن أعرف بالنص الأصلي، فأنا أصدرت خمسة كتب لا يعادلوا واحدًا على

(٩٦) الغجر: عرق يقطن أوروبا منذ القرن الخامس عشر، تتكلم لغة مشتركة ولها ثقافة وتقاليد متشابهة، وحتى أواخر القرن العشرين ظلت شعوب الغجر تعيش حياة التنقل والترحال، وللغجر أسماء مختلفة باختلاف اللغات والأماكن التي يتواجدون فيها، ومن أسمائهم الشائعة في أوروبا (الروم)، وهم من بين الشعوب التي تعرضت للاضطهاد من قبل الحكم النازي.



الألف من البدن الأصلي للسيرة، ولا توجد دار نشر عظيمة الشأن في العالم العربي كلّه تطبع هذا النص الأصلي وتحتفظ به، لأنني أحتفظ بها على شرائط، غير ما خرج من مسلسلات ومسارح كأمثال «أبوزيد الهلالي والخليفة الزناتي» يأكلون خبزًا من ورائها، لكنني عندما قدمتها في الراديو كانت القرى تتحلق حول الراديو وينتظرون، يكفوا عن العمل وعن الحياة لهذا السبب. عندي خطابات جماعية بالصناديق عليها توقيعات تصل إلى التسعين اسمًا من مساجين سجن وادي النطرون مثلًا – لم أكن أعرف هذا السجن – يقولون: «إنت خليت السجن مش سجن يعني إحنا بنتظرك.. الصعيد كله يقول الشيخ عبدالرحمن الأبنودي» فجزء كبير جدًّا من محبة الناس ناتجة من إخلاصي لتاريخهم العظيم وملحمتهم الخالدة (سيرة بني هلال).

هذا هو دأب الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي، نحن نتذكر أيضًا رحلتك إلى تونس كي تعرف أصل ابن عروس[٩٧]، الذي اكتشفت أنه ليس مصريًّا.

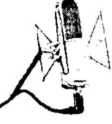
● وجمعت السيرة الهلالية التونسية أيضًا؛ لأن عرب نجد هجموا على تونس.. فكما كان لهؤلاء شعراؤهم فالطرف الآخر كان له شعراؤه وسِيَرُه أيضًا، واللغة التونسية صعبة فكان لا بد لي من أن أتعلّم اللهجة التونسية.

---

(٩٧) ابن عروس: لم يعرف أحد حتى الآن هل هو من نسج خيال الناس أم أنه شخص كان موجودًا بمصر خلال تلك الحقبة الزمنية، لكن أغلب الباحثين يرون أنها شخصية حقيقية والدليل عليه مربعاته التي اشتهر بها بعد وفاته وخصوصًا في العصر الحديث.

هو شاعر ذاع صيته بعد وفاته بقرون غير أن العديد من المفكرين يقولون: إن ابن عروس هو شخصية وهمية ولكن البعض يؤكد أن شعره والذي يتمتع بقالب معين يسمى مربعات أو بالتحديد تسمى مربعات بن عروس نسبة إليه.

غير أن تعريفًا بابن عروس هو الشاعر الذي عاش في العصر العثماني وكتب بالعامية ما وصل إلينا ونتداوله كحكم وأقوال مأثورة.



على ذكر دواوينك الشاعر الكبير الراحل طاهر أبوفاشا(٩٨) في تقديمه لكتاب «هز القحوف في شرح قصيدة أبى شادوف».. يقول: إن إطلاق كلمة ديوان على المجموعات الشعرية تلك حقيقة عُرفيّة نشأت قديمًا؛ لعدم وجود وحدة للقصيدة وللمجموعة الشعرية للشعراء القدامى.. الآن كيف تؤكد خمسة عشر ديوانًا

---

(٩٨) طاهر أبوفاشا: شاعر مصري صوفي ولد في ١٩٠٨ في دمياط وتوفي عام ١٩٨٩ بدأ تعليمه بمدرسة الحزاوي الابتدائية، ثم بمعهد دمياط الديني، ثم التحق بمعهد الزقازيق حتى حصل على شهادة الثانوية، ثم التحق بكلية دار العلوم ليتخرج منها عام ١٩٣٩. صدر له عدة دواوين منها : صورة الشباب (لاصوت الشباب)١٩٣٢ القيثارة السارية ١٩٣٤ الأشواك ١٩٣٨ راهب الليل١٩٨٣ الليالي ١٩٨٧ دموع لا تجف ١٩٨٧، قصائد أخرى في بطون الدوريات والصحف لم يجمعها الشاعر ، وجمعها الباحث/عزت محمود علي الدين في رسالته للماجستير (طاهر أبوفاشا شاعرًا) كما جمعت بعد ذلك في الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر.

كتب للإذاعة أكثر من ٢٠٠ عمل في أشهرها ألف ليلة وليلة، كتب منها أكثر من ٨٠٠ حلقة أُذيعت على مدار ٢٦ سنة و أيضًا فوازير رمضان التلفيزيونية وأيضًا كتب أوبريت رابعة العدوية غناء أم كلثوم.

له كتب أدبية منها: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، العشق الإلهي، وراء تمثال الحرية، تحقيق مقامات بيرم التونسي.

وله من الكتب التاريخية والسياسية أكثر من سبعة كتب مذكورة كلها في رسالة (طاهر أبو فاشا شاعر) للباحث/ عزت محمود علي الدين وهي مودعة مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في القاهرة.

للأبنودي هذه المقولة.. بمعنى: ما هي الرسالة الأساسية التي تجمع أشعارك وما الوحدة التي تربطها؟

● بالطبع هذا أمر من الصعب قوله.. فهو يحتاج لناقدجيّد أمين..

شعر الأبنودي شهادة على العصر

هل تعتبر أن دواوينك - وهي بالتأكيد هكذا- شهادة علي عصرك.

● لا شك أنه من أول قصيدة لآخر قصيدة ليس فقط شهادة كلّيّة على عصري، إنما مرحليّة أيضًا؛ لأنني كنت مواكبًا الفترات، مثلًا «الأرض والعيال» وهى مرحلة القرية، «الزحمة» وهي مرحلة المدينة، «حراجى القط» والسد العالي هم بشر لهم وجود وكانت حياة حقيقية.

«وجوه على الشط» مثلًا.. وحرب الاستنزاف.

● و جوه على الشط وحرب الاستنزاف والتجربة التى عشتها في السويس.

نعم.

«الفصول» وهو ديوان النكسة.. «المشروع والممنوع» وهو ديوان حول كل المشكلات السياسية التي رأيناها في العشر أو الخمسة عشرة سنة الأخيرة.. «الاستعمار العربى»، «الموت على الأسفلت» والقضية الفلسطينية، الذي أريد تأكيده أننى لم أقصد ولم أقرر أن أكون مؤرخًا، إنما بالفعل أنا رجل ارتبطَت همومه الذاتية بالهموم العامة في الأمة العربية ككل، والذي أفخر به أيضًا أنه بديواني عن فلسطين وديواني عن حرب الخليج تجاوزت العامية فكرة أنها ليست قومية.. إذا أردت.. ودليل على عروبة حقيقية لكثير من شعراء العاميّة أمام شعراء الفصحى.

بدليل الأمسيات الشعرية التي استضافتك على طول العالم العربي وعرضه وكنت تُلقي فيها أشعارك العامية.. وهي بالعاميّة المصرية.. في وسط جمهور عربي.. من مختلف الجنسيات العربية.

● لو أتيح لك أن تراني في أي بلد عربي.. أقول فيه شعرًا..سيخطر ببالك الإحساس الذي قاله السودانيون بأني من هناك، لكنني هنا في القاهرة بالصدفة.. والميزة أن أبنود فيها «جوانيب» البلاد العربية، لذلك فأنا لا أشعر فيها بأي غربة، بل وأعطيهم احتفاءً قوميًّا بلهجاتهم العاميّة أيضًا.. فهم يرون فيَّ سفيرهم لإنقاذ هذه القضية،أما الآن فقد حدث نوع من الخجل من لهجتنا العامية وعالمنا الشعبي نفسه عند كثير من الناس.. فمثلًا عندما تنزل أبنود قد تجد رجلًا كبيرًا يقول لك: «جاااي».. يريد من ذلك أن يعلمك بأن لديه تليفزيون وأنه مثل سنبل[٩٩] الذي يشاهده في المسلسل... إن الرجل الذي كنت أجلس معه قديمًا كنت أتعلم معه الدنيا في ساعة.. لكن أصبح هناك نوع من الخجل من الواقع..

---

(٩٩) مسلسل سنبل بعد المليون: هو مسلسل تليفزيوني كوميدي قام ببطولته الفنان محمد صبحي، شاركه في التمثيل الفنان القدير جميل راتب وغيره من الممثلين.

عندما نشرتُ السيرة الهلالية وأذعتُها.. احتفيت بتراثهم فحدث هذا الحب الغامر بينهم وبيني؛ لأنني برّأت تراثهم من عقدة الانحطاطية ووضعته في قلب النور وصارت حكاية السيرة الهلالية يهتم بها العالم العربي، فأنا أكبر شاعر له جمهور في العالم العربي -ليس فخرًا-، هناك شاعرين كبيرين تأتي الناس لهما.. هما نزار قباني(١٠٠) ومحمود درويش(١٠١)، لكن الفقراء والصفوة يأتون لي بكل سرور وهذا أمر أحمدُ الله عليه.

---

(١٠٠) نزار قباني: دبلوماسي، شاعر وناشر سوري ، (ولد ٢١ مارس/آذار ١٩٢٣ دمشق - توفي ٣٠ أبريل/نيسان ١٩٩٨ لندن)، يعد أحد أبرز وأشهر الشعراء العرب وأكثرهم جدلًا في العصر الحديث

ولد نزار قباني في مدينة دمشق، في حي مئذنة الشحم..أحد أحياء دمشق القديمة. واسم عائلته الأصلي آقبيق (عائلة مشهورة في دمشق، آق تعني الأبيض وبيق يعني الشارب) حيث قدم جدّه(نزار) من مدينة قونية التركيّة ليستقر في دمشق.والده توفيق قباني وكان له من الأولاد: نزار، رشيد، معتز، صباح ووصال.

نال نزار القباني شهادة البكالوريا من الكلية العلمية الوطنية في دمشق، وتخرج في العام ١٩٤٥ من كلية الحقوق في الجامعة السورية.=

=عمل بعد تخرجه كدبلوماسي في وزارة الخارجية السورية كسفير في عدة مدن منها القاهرة، مدريد، ولندن، بيروت. وفي عام ١٩٥٩ بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا، عُين سكرتيرًا ثانيًا للجمهورية المتحدة في سفارتها بالصين. بقي في الحقل الدبلوماسي إلى أن قدّم استقالته في العام ١٩٦٦.

انتقل إلى بيروت حيث أسس دار نشر خاصة تحت اسم منشورات نزار قباني. بدأ أولًا بكتابة الشعر التقليدي ثم انتقل إلى الشعر العمودي، وساهم في تطوير الشعر العربي الحديث إلى حد كبير. تناولت كثير من قصائده قضية حرية المرأة. تناولت دواوينه الأربعة الأولى قصائد رومانسية. وكان ديوان قصائد من نزار قباني الصادر عام ١٩٥٦ نقطة تحول في شعر نزار، حيث تضمن هذا الديوان قصيدة خبز وحشيش وقمر التي انتقدت بشكل لاذع خمول المجتمع العربي. تميز قباني أيضًا بنقده السياسي القوي، ومن أشهر قصائده السياسية هوامش على دفتر النكسة ١٩٦٧ مـ التي تناولت هزيمة العرب على أيدي إسرائيل في نكسة حزيران. ومن أهم أعماله حبيبتي ١٩٦١ مـ، الرسم بالكلمات ١٩٦٦ مـ وقصائد حب عربية ١٩٩٣ مـ.

توفي نزار قباني في لندن إثر نوبة قلبية في يوم الخميس ٣ محرم ١٤١٩ الموافق ٣٠ أبريل/نيسان ١٩٩٨ عن عمر يناهز الـ ٧٥.

دفن نزار في دمشق، حسب وصيته بعد أربعة أيام من وفاته في منطقة باب الصغير.

(١٠١) محمود درويش: (١٣ مارس ١٩٤١ - ٩ أغسطس ٢٠٠٨)، أحد أهم الشعراء الفلسطينيين و العرب الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه. في شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى. قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني، التي تم إعلانها في الجزائر. توفي في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت ٩ أغسطس ٢٠٠٨، بعد إجرائه لعملية القلب المفتوح في مركز تكساس الطبي في هيوستن، تكساس، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء في مستشفى «ميموريال هيرمان» نزع أجهزة الإنعاش بناء على توصيته.



ما وصل إليه الشعر حاليًا

بالطبع.. ونحن نؤكِّد على هذا أيضًا، تبقى معنا شهادتان ننتظرهما من الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي.. أولهما شهادة على ما وصل إليه شعر العامية الآن؟

ما وصل إليه الشعر العربي بصراحة «مأزق شعري» وصرنا في عصر تحوّلٍ وحدث نوع من الرغبة في الخروج من العالم الشعري القديم بأكمله، وحدثت محاولات من كل من يطلق عليهم شُعراء الحداثة، والتي ضلّت معهم القصيدة.. فما كانوا متبينين أهدافًا حقيقية للمروق بالقصيدة من العالم القديم، فما عادت القصيدة مقنعة لنا.. بأنها تعبير عن كل التلعبُكات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. العالم الرهيب في داخلنا هو خير تعبير، ماعادت قصيدة تستوعبه فأحدث لنا هذا نوعًا من اليأس.. في الخمس سنوات الأخيرة كتبت ثلاث قصائد؛ قصيدة اسمها «الكتابة» وهي عن صعوبة الكتابة، وقصيدة عن الشاعر الراحل «فؤاد حداد»، وقصيدة عن شاعرنا الكبير الراحل أيضًا

«محمود حسن إسماعيل»[١٠٢]، فهى كأنك ترثي عالمًا جميلًا وأناسا لن يرجعوا.. شعراء العامية أخذتهم الدنيا.. منهم من أخذته الأغاني وما إلى ذلك، فيه حالة فقدان دور وجدوى من القصيدة ومن قدرتها على التأثير في هذا الواقع الذي اختلّ خللًا كاملًا، والذي تغيّر تغيّرًا كبيرًا عن البدايات منه في النهايات، فالشعر العامي مأزوم أزمة الشعر الفصيح أيضًا وهذه ليست ظاهرة مصريّة، تلك ظاهرة عربية موجودة، إنما الدنيا السياسية لن تظل هكذا.. سيحدث التغيير بمجرد أن تحتاج مصر للأصوات التي تبعث الهمّة في ناسها سيخرج شعراء أفضل منا آلاف المرّات..

---

(١٠٢) محمود حسن إسماعيل (١٩١٠-١٩٧٧): شاعر مصري ولد في قرية النخيلة بمحافظة أسيوط، تخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة له انتاج شعري غزير تمثّل في أربعة عشر ديوانًا كان أولها: أغاني الكوخ، ويعد واحدًا من أهم شعراء أبوللو، نوّع في القافية والوزن وكتب قصائد على نظام الشعر الحر ويعتبر بعض النقاد تلك القصائد هي الإرهاصات الأولى لمدرسة الشعر الحر، لُحّنت بعض قصائده وغنّاها كبار المطربين من أمثال محمد عبد الوهاب وأمّ كلثوم، لُقّب بشاعر الكوخ، له كثير من الشعر الصوفي ويمثّل ديوانه (أين المفر) علامة بارزة في الشعر= =الصوفي، توفّي بالكويت عام ١٩٧٧م حيث كان يعمل خبيرًا في المناهج بوزارة التعليم بالكويت، وكانت في جواره عند موته ابنته الإذاعية الشهيرة سلوان محمود.



رأي الأبنودي في الأغنية المعاصرة

الشهادة الثانية، التي ننتظر سماعها شهادة على الأغنية المصرية المعاصرة بوصفك أنتجت أو كتبت العديد من الأغنيات الرائعة التي تغنى بها كبار المغنّين والمغنيات.

ما قلناه على الشعر ينطبق علي الأغنية أيضًا؛ فهي فن شعري موسيقي، الفارق أنّها فنٌّ خفيف طيّار شديد التأثير أكثر من الشعر، متنقل؛ ينتقل ولا تنتقل إليه كالمسرح والسينما.. حدث خللٌ بعدما كانت الأغنية تصدر من أجهزة مسؤولة وأجهزة لها خُلُق خاص ولها فكر خاص.. أما الآن فقد انفتحتْ «بوتيكات الأغاني» في عصر السوق الحرة وأصبحت سلعة مثلها كمثل «الفول السوداني واللب» الذي يُتسلى به وترمي قشره كالسجائر فترمي العقب.. هكذا حال الأغاني الحديثة كالعقب في السيجارة، صارت مادة استهلاكية لم تعد هذه الأشياء الحقيقية تعبيرًا حقيقيًا عن مشاعر أمّة ولا أن تبني به وجدان أمة.

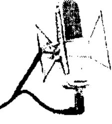
وهنا أنت مضطرٌ أيضًا تكتبها بهذا الشكل.

أنا من الناس الذين تقهقروا إلى حد كبير أو تراجعوا تراجعًا منظّمًا حينما أجد هذا، إنما أكتب أغاني لمسلسل مثلًا كالنديم، البشري، ذئاب الجبل، فهنا فرصة لأن تلامس الشعر.. ظهرت تقنيات حديثة وأجيال جديدة.. وأغنيات تخاطب الأذن وهي شكلٌ آخر من أشكال العنف أيضًا الذي نتكلم عنه..

كل هذا!!

نعم، هذا الإيقاع الصاخب والضجيج كالذي تقابله في السيارات المندفعة بسرعة، هذا نوع من ممارسة العنف، دليل على أن الأجيال ليست في أماكنها الحقيقية وغير مستوعبة دورها الحقيقي ومسترِيبة بالنسبة للمستقبل، عندك معاني قلها في البيت.. هم يريدون الرقص والضجيج .. الأغنية الآن ضجيج وإيقاع.. النص تراجع فيها للدرجة الثالثة.. أصبح الإيقاع واللحن ثم الكلام للمعقّدين على حسب زعمهم.

يريدون أن يتفلسفوا.



● نعم.. الأغنية في أزمة وأزمة حقيقية أيضًا، لن تخرج من هذه الأزمة إلا إلا إذا وضعت المآزقُ العالمية مصرَ في ظروف فاحتاجت مصر كل أبنائها وشحذ الهمم حتى أن الأغنية العاطفية ستتأدب وتهذب وتخاطب البشر.

تحتاج إلى استفزاز.

● ركبت مرة مع سائق تاكسي وكان يسمع أم كلثوم(١٠٣) فقال لي: على ما يبدو أن قلبي كان يشعر أنك ستركب معي عندما وضعت هذا الشريط.

---

(١٠٣) أمّ كلثوم (٣٠ ديسمبر ١٨٩٨ - ٣ فبراير ١٩٧٥)، مغنية مصرية. اشتهرت في مصر وفي عموم العالم العربي والعالمي في القرن العشرين، ولُقبت بكوكب الشرق وسيدة الغناء العربي.

تاريخ ميلادها طبقًا للمؤرخين الثقات ٣٠ ديسمبر ١٨٩٨، أمّا تاريخ ميلادها المثبت في السجلات هو ٤ مايو ١٩٠٤ لأنه لم يكن هناك توثيق رسمي وشهادات ميلاد في هذا الوقت، لذا اعتمد تاريخ التسنين – طبيًا – وهو ٤ مايو ١٩٠٤ تاريخًا لميلادها. وُلدت في محافظة الدقهلية لإبراهيم البلتاجي مؤذّن قرية طماي الزهايرة، مركز السنبلاوين، كانت تحفظ وتغني القصائد والتواشيح هي وأخاها خالد إبراهيم البلتاجي. وفي حدود سن العاشرة كانت قد أصبحت تغني أمام الجمهور في بيت شيخ البلد في قريتها.

يتعرف والدها على الشيخين زكريا أحمد وأبو العلا محمد، اللذان أتيا إلى السنبلاوين لإحياء ليالي رمضان وبكثير من الإلحاح تم إقناع الأب بالانتقال إلى القاهرة ومعه أم كلثوم..هنا

كانت الخطوة الأولى وقتها أحيت ليلة الإسراء والمعراج بقصر عز = =الدين يكن باشا وقامت سيدة القصر بإعطائها خاتمًا ذهبيًّا وتلقت أم كلثوم ٣ جنيهات أجرًا لها.

في عام ١٩٢١ تعود إلى القاهرة لكي تستقر نهائيًّا. ١٩٢٣ تغني في حفلات كبار القوم، وتغني في حفل تحضره كبار مطربات عصرها وعلى رأسهم منيرة المهدية شخصيًا، التي كانت تلقب بسلطانة الطرب.

في عام ١٩٢٨ تغني مونولوج (إن كنت أسامح وأنسى الآسية)، لتحقق الاسطوانة أعلى مبيعات وقتها على الإطلاق ويدوّي اسم أم كلثوم بقوة في الساحة الغنائية، وهو نفس العام الذي لحنت فيه أم كلثوم أغنية (على عيني الهجر) بنفسها لنفسها!..

عام ١٩٥٤ خفضت أم كلثوم جدول حفلاتها الموسيقية بسبب المشاكل الصحية التي تعاني منها. والنظّارة السوداء التي كانت ترتديها بشكل مستمر كانت بسبب مرض الغدة الدرقية الذي أدى إلى جحوظ عينيها كانت سببًا أيضًا لايقافها لنشاطها التمثيلي الذي اقتصر على ٧أفلام.

أغنية (أوقاتى بتحلو معاك....و حياتي بتكمل برضاك) آخر ما غنت به أم كلثوم، وأثناء البروفات للأغنية وقعت صريعة لمرض التهاب الكلى، سافرت إلى لندن للعلاج وكانت قبل سفرها قد طلبت من الشاعر صالح جودت أن يكتب أغنية بمناسبة نصر أكتوبر وبعد عودتها طلبت من الملحن رياض السنباطي تلحينها حتى تغنيها في عيد النصر لكنها توفيت قبل أن تؤديها وكانت الأغنية مطلعها (يااللى شبابك في جنود الله.... والحرب في قلوبهم صيام وصلاة).

يقول لك هكذا!!

نعم.. ويقول أيضًا: إنه يُسمعهم طوال اليوم ما يريدونه، لكنه من الساعة الثانية عشر ليلًا يسمع هو مايشاء، ففي أم كلثوم وعبدالحليم عالمي الخاص، فإذا اعترض أحد الركّاب يقول له: «انزل؛ تلك سيارتي وأنا مَن أجلس فيها، ولا أريد أن يركب معي أحد».. فقلت له: أنا من الجيل القديم وكنت أكتب الآن.. فقاطعني وقال: يا أستاذ عبد الرحمن تظلوا أنتم الورد الذي يتفتَّح ونحن مَن استنشقنا عبيره، وكل ما عدا ذلك لا يهمنا.

الله..

هذا السائق سنه ليس بالكبير دفعني ذلك لأن أقول له: على الرغم من أنك لم تعاصر الستينيات!!.. فقال لي: ليست مشكلة فأنا أعرف مني آلاف. فعلمت أنهم في أزمة مع أزمة الأغنية.

الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي، دائمًا يكون آخر سؤال لي عن وصفٍ للعصر في سطورٍ قليلة.. لكني سأحوّله هذه المرة - بما أننا مع شاعرٍ كبير- إلى وصف للعصر في قصيدةٍ جميلةٍ من الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي. ماذا تقول فيها؟..

ستغضبكم لو قلتها.

لا عليك.

لا..

أهو الحزن النبيل؟

لا.. فليس عندي الآن.. لكننا نعيش في عصر وهبنا وعينا الثقافي قيمًا ثقافيّةً وجماليّةً عالية جدًّا.. فتجاوزنا التعبير عن مشكلات المجتمع.. وفي الوقت نفسه.. ضميرك لا يريحك؛ لأن الفقراء ما زالوا فقراء، ولأن البلاد في حاجة لأصوات تُعبّر عنها بصدق، ولأن المرحلة صعبة، ولأنك ترى الأعداء محيطين بمصر من كل جانب.. فأنت مضطر أيضًا للعودة إلى المهنة القديمة، وهو الشعر المباشر، الذي يدافع عن الأمة ويوقظ ناسها، ولقد صار هذا



«مسخرة» إلى حد ما -من وجهة نظر الحداثيين-، لذلك فخلال العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة أنت لا تذكر قصيدة؛ لأن كل الأصوات واحدة، كل اللغات و التوجهات ليست موجّهة للآدميين ولا قاصدة الجمهور.. ودائمًا أقول: ما دمتم لا تقصدون الجمهور،فلماذا تكتبون إذن؟!.. أتكتبون لأنفسكم؟! لهذا يكون عدم النشر استكمالًا أخلاقيًا لهذه القضية.. طالما أنك تكتب لنفسك فاقرأ لنفسك.. أتكذب على نفسك وتعتقد أنك بمجرد النشر تستطيع أن تجند أحدًا من شعبك، الذي ينوء تحت آلام وعباء رهيبة جدًا؟!.. كيف إذن وأنت أعمى عنه وفي عالمٍ آخر. أنا أظن أن كثيرًا مِن توقُّف جيلي الآن عن الكتابة هو الحيرة بين شيئين؛ هل نتسابق حقًا مع قيم الفن العُليا الخالصة، التي تُبقي الشعر خالدًا؟ أم أن تعيش عصرك وتعمل فيه بالفأس و«تفأفأ» يديك. وتعيش كفرع لبلاب على شجرة يمتص خيرها ولا يعطيها شيء.

لو اختار الأستاذ الأبنودي من قصائده العديدة ومن دواوينه الكثيرة قصيدة تختتم بها شهادتك على العصر، فماذا تكون؟

(●) أقول لك الموَّالَيْن اللذين كتبتهما في السجن ونُشرا تحت اسم: «موالين من السجن».. كتبتهما بيتًا بيتًا في الزنزانة.

نعم، وحفظت كل بيتٍ على حِدَه.

(●) صحــــت المدينة في يوم ما لقتش جناينهـــا
القمـــري طـار منها وغربانها جانيينهـــا
السجـــن خنقـــه وزنقه البطن يـا جنينهـا
قضبانــه ســودا وعنيـدة بضـي صفـراوي
صفـي الغنـاوي على الأسفلت وأنا غـاوي
مـا اغنـــي غير وسط عاريينها وحافيينهـــا
ومـــن بعيـــد القمـــر عـــوّام بلا شاطـــي
مـا دخلـــش شباكـــي ده عالي وده واطـــي
هـــوه اللـــي يعشق عيون بلده يصير خاطي؟
ده ان كـــان عشقـك يـا مصر خطيه ونجاســه
طـين النجاســه -- يا نخّاســه – بلغ باطـــي

الله.. أجمل ختام لشهادة الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي على عصره، والتي نشكره عليها شكرًا جزيلًا.

الفهرس